2

الطبعة 10



الأعلى مبيعا

حين يتمرد الجان

الجزء الثاني من سلسلة جن بني النعمان

AS THE JINN REBELS

بدر رمضان

ELENA BOOK

حين يتمرد الجان

سلسلة جن بني النعمان ٢



القصة مقتبسة عن فتاة حقيقية ترى الجن وتتحدث معهم ....



الإهداء

إهداء لمن علمتني أن هناك عوالم أخرى يجب علينا التعايش معها، لمن استطاعت بقوة إيمانها أن تجعلني قوية وذات بأس، وأن لا أحد يستطيع أذيتي، وأنا في معيّة الله...

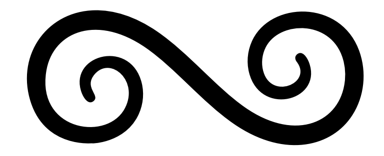
أمي الحبيبة، شكرًا لكِ على وجودي، لولاكِ ما أصبحت شيئًا...

إهداء لروح أبي الغالي؛ كنت أتمنى وجودك بجانبي...

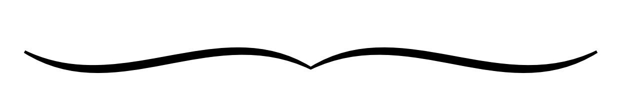
إهداء خاص لأختي الكبرى ومشجعتي...

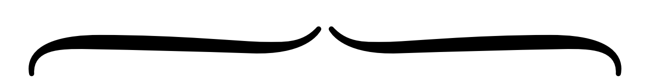
لزوجي الحبيب ناقدي وعوني وداعمي...

لصديقاتي المقربات اللائي لولا تشجيعهن ومساندتهن وإيمانهن بموهبتي ما استطعت أن أكتب حرفًا.



إهداء أخير





لكل قارئ أضاع من وقته وماله ليقرأ ما خطته يداي، شكرًا لك.



الفصل الأول

مسّدت جانب رأسها بقوة، فهذا الصداع اللعين لم يغادرها منذ عدة أيام، لحظات وأعلن البروفيسور انتهاء المحاضرة، تنهدت بألم وهي تغمض عينيها وقررت أن تتناول حبة مسكن أخرى، فيبدو أن السابقة لم تجدِ نفعًا!

أخرجت زجاجة المياه والدواء وابتلعت الحبة سريعًا وكأنها لا تتحمل دقائق أخرى على هذه الحال،

أحنى «إريك» رأسه نحوها وهو يضم حاجبيه بقلق يتساءل باللغة الألمانية:

- ما بك يا إيلينا؟! وجهك شاحب ويبدو أنك لست بخير!

وضعت زجاجة المياه في الحقيبة وأزاحت شعرها من على وجهها وهي تزفر بضيق وتجيبه:

- صداع رأس لعين لا يتركني منذ أيام.

انتفض إريك بذعر وأمسك كفها لتقف معه قائلاً:

- هيا بنا نذهب لمشفى الجامعة لنطمئن عليكِ.

شدت يدها بحدة ونظرت له بغضب، فرفع كفه أمام وجهها معتذرًا:

- أعتذر منكِ يا إيلينا، لم أقصد مضايقتك، أنا فقط قلقت عليك.

لم تهتم لاعتذاره وقررت أن تصب جزءًا من ألمها في وجهه، فرفعت سبابتها بتحذير:

- للمرة الأخيرة أخبرك أن لا تلمسني إريك، في المرة القادمة التي تفعلها ستنتهي صداقتنا للأبد.

ثم حملت حقيبة يدها وأمسكت بحقيبة آلتها «الفيولا» وانطلقت خارج المدرج ومنه لخارج الجامعة، لم تنتبه إيلينا للجالس فوق الشجرة يراقبها ويبتسم لها بخبث!

ركبت سيارتها وانطلقت نحو بحيرتها الحبيبة التي تشفي جميع أسقامها، وصلت لوجهتها وترجلت من السيارة نحو الحديقة الكبيرة التي تحوي بداخلها «بحيرة كونجيسي»، تلك البحيرة العذبة بمياهها الزرقاء الصافية والخلابة.

تركت آلة الفيولا داخل السيارة وأخذت حقيبتها وخطت نحو مقعدها المفضل أمام البحيرة مباشرة، تنهدت براحة وهي تنظر نحو السائحين من كل بقاع الأرض يتنزهون في الحديقة والبعض منهم يستخدم قوارب صغيرة داخل البحيرة للاستجمام والاستمتاع بالجو والمناظر الخلابة، أغمضت عينيها ورفعت زاوية فمها بألم وهي تتذكر أنه هو من جاء بها إلى هنا أول مرة.

فتحت عينيها سريعًا وأخرجت آلة «الفلوت» من حقيبتها ثم بدأت العزف بمقطوعة تشبه حالتها وتذكرها به دائمًا،

أخذت عدة أنفاس وبدأت «بشهرزاد»، لـ»كوراساكوف» وهي تغمض عينيها وتستشعر نغماتها، بدأت تعيد لحظاتهما معًا من البداية.

•السادسة من عمرها...

كانت تجلس بجوار جدها الذي قرّبها منه ليخبرها سرًا خطيرًا وهو أن خالتها تزوجت أحد ملوك الجان وأنجبت منه صبيًا يدعى «يوناس»، ثم فاجأها أنها كانت تراه حتى أتمت العامين وانحجبت عنها الرؤية بعد ذلك، كان كل زيارة لهم يقرّبها من يوناس حتى لا تهابه أو ترتعب منه، كان صديقها الوحيد على الرغم من أنها لم تره ولكن صوته الأثير ظل يلازمها لأيام فطلبت منه أن يقص عليها حكايات عن عالمهم، وكانت طلباتها أوامر، فظل شهورًا طويلة يأتيها كل ليلة يحكي لها حكايات عن عالم الجان وتستمع هي بسعادة واندهاش حتى تغط في النوم.

مرت الشهور هكذا حتى ترجّته أن يجعلها تراه وبعد رجاء كثير لأسابيع طويلة وافق يوناس على طلبها ولكن بشرطين: أولهما، أن لا تتحدث مع جن غيره أبدًا، والثاني ألا تخبر أحدًا من أهلهم ولا حتى جدهم.

وافقت على الفور وشعور بسعادة بالغة تملّكها وظلت تقفز بمرح لأنها بعد قليل سترى يوناس على حقيقته، لقد تخيلته بملامح هادئة وجميلة.

توقفت عن العزف لتلتقط بعضًا من أنفاسها ولكنها تفاجأت بجمع من الناس يلتفون حولها يصفقون لها بحرارة وإعجاب.

ابتسمت لهم إيلينا شاكرة على تشجيعهم ولكنهم ظلوا يصفقون ويهتفون حتى تعزف مقطوعة أخرى، وبالفعل وافقت واختارت «الفصول الأربعة لفيفالدي.»

•عادت بالزمن مرة أخرى وبدأت بالصيف.

تعلقها به ازداد بعد رؤيته أضعافًا مضاعفة، جسد قوي مفتول العضلات ووجه بريء بملامح فاتنة وشعر بني يصل لكتفيه ليكمل لوحة من الفتنة على قدمين، مرت سنوات عليهما حتى وصلت لسن المراهقة، وكان هذا إنذارًا بالخطر!

فتحت والدتها الباب على غفلة منها فوجدتها تتحدث لأحدهم وتبتسم بخجل ملحوظ، اختض جسدها بذعر وعرفت الأمر على الفور، بعدها بأيام عادت من مدرستها فوجدت أمها تتحدث عبر الهاتف ولحسن حظها لم تشعر بعودتها، نبرة انفعال زينت حروفها:

- أرجوكِ روهان لا تفهمي الأمر على هذا النحو، أنا فقط أريد لابنتي حياة طبيعية مثل البشر.

- لا تقحمي نفسك في الأمر حبيبتي فوضعك مختلف.

- حسنًا لن أطيل الأمر، فقط اتصلت لأخبرك أننا سنغادر البلاد خلال أسابيع قليلة، لقد قبِل عز العمل في إحدى الشركات بألمانيا.

التفتت نحوها فوجدتها تقف بذهول تام تجاهلتها وأكملت:

- حسنا نتحدث فيما بعد.

ثم أغلقت الهاتف وذهبت ولم تبالِ بوقفتها ولا سماعها للمحادثة.

•وهنا جاء الشتاء القارس بلياليه الحزينة والساكنة، سفرهم لبلدغريب ولغة غريبة وسط مجتمع أغرب!

لم يبالِ يوناس لتهديد والده وتحذير والدته من الاقتراب منها وذهب إليها على الفور، فرحت كثيرًا لرؤيته وهذه المرة كانت حريصة ألا يعرف أحد بأمرهما، فلا تتحدث معه إلا في الليل وهم نائمون،أو حين يكونون خارج المنزل، شعرت بالامتنان لأنه لم يتركها فهو صديقها الوحيد في هذه الغربة الموحشة.

•انتقلت بعزفها للخريف وتساقط الأحلام والأمنيات واشتدت حدة الألحان حين توالت الصور على عقلها.

خرجت من الصف بصحبة أحد زملائها الجدد وهي تمشي معه وتتحدث له بأريحية وتبتسم باستحياء على إطرائه، انفجر وجه يوناس غضبًا واحترقت عيناه من الغيرة وانتظر حتى اقترب الصبي من شجرة على جانب الطريق، قطع يوناس أحد فروعها وأسقطه على رأسه، وقع الصبي مغشيًا عليه وأصاب إيلينا الذعر وظلت تصرخ حتى تجمع المارة وحملوا الفتى للمشفى.

وقعت عيناها عليه وهو يقف أمامها بغضب شديد، عادت للبيت دون أن تتحدث معه وحين وصلت غرفتها انفجرت به غاضبةً تلومه على ما فعله وتتوعده لو أصاب صديقها ضرر ستمتنع عن رؤيته للأبد، ولم تدرِ إيلينا أن والدتها تقف خلف الباب تستمع لحديثهما معًا وهي في ذهول تام، ومنذ ذلك اليوم لم ترَ يوناس ثانية.

توقفت إيلينا عن العزف قبل أن تصل بمعزوفتها للربيع، فلم يأتِ ربيعها بعد ...

اشتعلت الأجواء مرة أخرى بحماسٍ ولكنها رفضت أن تعزف شيئًا آخر، احترم الجميع رغبتها وانفضوا من حولها إلا من واحد مازال يراقبها ولكنه لم يضحك بخبث تلك المرة بل كان مسحورًا بالكامل!

وقفت روهان تزفر بضيق، وبدأ غضبها يتصاعد.

للمرة الثالثة تستدعيه وهو لا يُجيبها!

فهو في مكان آخر بعيدٌ جدًا بصحبة أحدهم،

أتى نعمان بسرعة البرق والقلق يزيّن ملامحه، رائحته المميزة داعبت حواسها فالتفتت نحوه وعلامات الغضب مازالت تسيطر عليها، اقترب منها وهو يضم حاجبيه بتعجب يتساءل:

- ما بكِ حبيبتي، لمَ تستدعين يوناس بغضب هكذا! ماذا فعل؟

بصوت مرتفع ولهجة حادة أجابته:

- للمرة الثالثة أنادي عليه ولا يعيرني اهتمامًا نعمان، لقد حذرته مرارًا من تجاهلي بهذا الشكل السافر، لم أعد أعرف كيف أتعامل مع صفاته السيئة جدًا هذه.

أمسك نعمان بكفيها يقبلهما واحدًا واحدًا تلو الآخر برقة بالغة وهو يقول:

- لا تغضبي أرجوكِ، سأتحدث معه.

تنهدت بنفاد صبر فاحتضنها وهو يملس على شعرها بعذوبة وحنان، سنوات كثيرة مرت عليها ولم تمر عليه، مازال بوجهه الجذاب وعينيه التي تضيء بجمال لا مثيل له حين رؤيتها، أما عنها فقد بدأ الشيب يزحف نحو خصلات شعرها وبدأ وجهها في الذبول دليلاً على تقدمها في السن،

هدأت قليلاً فهو الوحيد القادر على امتصاص غضبها، وبحزن بالغ وعميق قالت:

- ماذا نفعل في هذا الصبي نعمان، لم يعد يهتم لأمرنا ولا ينصت لنا.

حاول طمأنتها بكلمات لم تصل حتى لأذنيه، فالخطر بدأ يشتد على ولده أكثر مما كان يتوقع، ورغم ذلك حاول أن يكذّب حدسه قائلاً:

- لا تقلقي روهان، سيعود يوناس كما كان.

هزت رأسها بنفي وهي تنظر للفراغ أمامها:

- مرت خمس سنوات منذ أن أبعدناه عن إيلينا يا نعمان، ولم يعد يوناس أبدًا ولو حتى ليومٍ واحد.

لفت رأسها نحوه تنظر إليه بعين دامعة وتتساءل:

- ترى هل أخطانا بحقه؟

وضع كفه على وجنتها يداعبها بسبابته وهو يجيبها إجابة غير واثقة:

- لم يكن أمامنا حل آخر يا روهان، دانا كانت مصرة أن يبتعد عنها وإيلينا لم تتمسك به بشكل كافٍ، هذا هو قدره ويجب أن يستمر في الحياة كما ينبغي وكما هو مقدر له.

ثم وقف ليذهب باحثًا عنه فأوقفته روهان بسؤال ناري:

- هل كنت ستتركني وتعود لحياتك لو رفض أبي زواجنا وأنا لم أتمسك بك بالشكل الكافي؟!

ابتسم نعمان وهو يقترب منها ثم توقف وجعل بينهما مسافة قصيرة وبحركة مراوغة قرب وجهه من أذنها هامسًا:

- لقد حدث بالفعل ورفضتني في بادئ الأمر.

بطرف عينيه لمح ابتسامتها وهي تتذكر حين أخذها لمنزله يعترف بعشقه لها، فأكمل نعمان وازدادت أنفاسه اضطرابًا:

- لو وقف كل الكون ضدي وأنتِ أولهم ما كنت لأتركك إلا جثة هامدة.

ثم اختفى من أمامها وتركها تتنهد بعشق وتعض شفتها السفلى وهي تتوعده بغيظ على اختفائه المفاجئ، فهو مازال على عهده يستمتع بقدرته على الاختفاء في لحظات حاسمة وحميمية، ولكنها لا تعلم أنه اختفى لأمر أهم بكثير من مشاكستها!

تمايلت «نيران» أمامه بجسدها الممشوق ومفاتنها الصارخة وشعرها الناري المتمثل في اسمها، ابتسم يوناس بعينين لامعتين، فهي أجمل جنية رآها إلى الآن، طبعها الحار وشهوتها المفرطة ترضيه إلى حد كبير، اقتربت منه وهي تغمز بعينيها قائلة:

- جسدك يتوهج يوناس!

نظر لجسده الذي بدأت تظهر عليه بعض الحروف العربية القديمة، توتر وشعر بالقلق من أن تزداد الكلمات في الظهور، فقرر أن يلهيها عن الأمر بطريقة خاصة، فأمسك خصلات شعرها يقربها منه بعنفٍ وشدة حتى التصقت بصدره العاري وبصوت هامس ومثير قال لها:

- جسدي يتوهج بقربك يا نيرااان.

دقائق مرت عاشها مع نيران لم تروِ ظمأه بعد، ولكن استدعاء والدته جعله يتوقف ويصرفها من أمامه، تعجبت من تصرفاته المتحولة بسرعة البرق، لقد كان جامحًا منذ قليل، ماذا حدث له ليتعامل معي بهذه القسوة واللامبالاة؟! أسئلة دارت بعقلها ولكنها لم تنطق بها فالكل يعرف يوناس جيدًا حين يأمر يجب أن يُطاع وإلا كان الموت نهايته الحتمية.

انصرفت من أمامه وتركته يتمدد على الفراش سارحًا في ملكوت آخر، مازالت بقلبه عدة ثغرات تضعفه ولا يستطيع التخلص منها، ضعفه ناحية والديه وحبه الشديد لأمه وخوفه الأشد من أبيه، والهوة الكبرى التي تتسع يومًا بعد يوم بداخل صدره هي «إيلينا»، عشقه الأبدي الذي لا يستطيع مهما حدث التخلص منه بأي شكل، برغم امتلاكه القوة والسطوة والمعرفة لم يجد لعشقها دواءً، صراع أبدي بين الحب والكره لا ينتهي أبدًا إلا برجوع الأرواح لخالقها.

تنهّد بألم عند نداء والدته الثالث والذي لم يُجب على واحد منها وهو يوقن الآن أنها غاضبة حد الانفجار، ولكنه لم يستطع يومًا تجاوز الأمر، لقد أبعدوه بالقوة عنها لمجرد اختلاف الجنسين على الرغم من اختلاف أبويه بالفعل، ولكنه كان استثناءً، ومن الواضح لن يتكرر!

سيظل البشر يخشونهم ويهابونهم ويبتعدون حتى عن نطق أسمائهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولكنه يستطع الآن بمعرفته وقوته السيطرة على البشر فلماذا لا يفعل؟!

لمعت عيناه بسعادة ولاحت على وجهه ابتسامة عابثة، انتفض من فراشه وقرر أن يجرب شيئًا صغيرًا!

وصل «لوكاس» لبلده «روديشيم» بألمانيا عائدًا بعد رحلة دامت أيامًا لاستدعاء أحد الشيوخ ليغيثه وينقذ ابنته من مس شيطاني!

تسلل داخل المنزل وهو يشعر بالخوف الشديد لمجرد اقترابه من غرفتها، خوفٌ من ابنته، وخوفٌ عليها، شعوران يتضاربان بداخله لا يعرف أيهما يسيطر عليه، أشار إلى «غيث» بيده أن يتبعه للداخل، فدلف غيث على استحياء فأخبره لوكاس أنه لا يوجد أحد في المنزل، فالكل غادر خوفًا من ابنته.

جلس غيث يلتقط أنفاسه وهو يدور بعينيه في المنزل ليتأكد من خلوه من أحدهم، لم يتردد غيث الذي لم يبلغ من العمر الخامسة والعشرين بعد على مصاحبة المزارع المسكين وهو يترجاه أن يأتي معه، فهو على علم ومعرفة بعوالم الجن، وأسرارها لا يمتلكها ملوك الجن إلا واحدٌ فقط! هذه هي هبته ويجب أن يدفع ضريبتها وهي مساعدة الناس، رغم حذره من ألا يعرف أحد بأمره إلا أنه لم يستطع أن يرد سائل أو مستغيث.

جلس «لوكاس» أمامه ودموع عينيه تنهمر بحزن بالغ على صغيرته «مِيا» التي لم تصل للسابعة عشر. حاول غيث أن يهدئه قليلاً حتى يفهم منه ما يحدث، بدأ يقص عليه الأمر وهو يفرك كفيه بتوتر ملحوظ:

- لقد قصدت جميع كنائس المدينة، وحاول معالجتها أكثر من قس ولكن لم يفلح الأمر! فأخبرني أحد جيراني المسلمين أن أذهب للمسجد وآتي بك فأنت من ستشفي ابنتي.

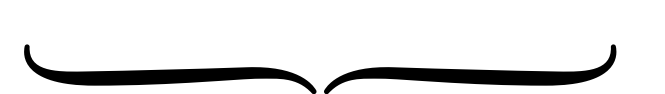
قاطعه غيث بيقين:

- الشفاء بيد الله يا رجل، نحن مجرد أدوات، إحكِ لي ما أمرها ابنتك.

مسح دموعه بطرف سبابته ولم يستطع النظر في عين غيث وهو يخبره: - لقد استولى الشيطان على جسدها وجعلها تقتل الخادمة بشكل وحشي.

تحسس غيث سواره الذي يرتديه في معصمه ليتأكد من حرارته، وحين وجد حرارته مرتفعة عرف على الفور أنه مس شيطاني بالفعل وليس مرضًا نفسيًا، وقف غيث يستعيذ بالله ويسميه ثم قال لـ لوكاس:

- دعنا نبدأ الآن!!



الفصل الثاني

دخل نعمان قصر أبيه ليلبي نداءه وفي عقله الكثير والكثير من الأشياء، صوت أبيه وهو يستدعيه كان مقلقًا للغاية، يبدو أن هناك خطبًا ما، وصل حيث القاعة الكبيرة فوجد والده يجتمع ببعض ملوك الجان ويبدو على وجوههم أن كارثة ما قد وقعت! أزاح مقعدًا ليجلس عليه فتعلقت به أنظار الجميع بتوتر!

- ماذا يحدث يا أبي؟

قالها وهو يجلس بجوار أبيه وينتظر إجابة سريعة وشافية فهو لم يرهم بهذا الذعر من قبل، نظر الملك الأبيض للملوك نظرة ذات مغزى فاستأذن الجميع وتركوهما بمفردهما، ازداد قلق نعمان واحتدت نظراته بترقب:

- ما الأمر يا أبي لقد تملكني القلق!

نظر الملك لنعمان قائلاً بصوت غاضب:

- هناك أمران أولهما يوناس.

أغمض نعمان عينيه وهو يصك أسنانه، مؤكد هناك أمر ما يخصه، فتح عينيه ينتظر أن يكمل والده، وبالفعل أكمل:

- لقد ازداد مجونه بشكلٍ سافر، وأصبح الزنا أسلوب حياته الفاجرة، أتاني أكثر من حكيم اليوم يريدون معاقبته وأنت تعرف أن طوال حكمي الملكي لم أفرق أبدًا بين أبناء العائلة وباقي الجان.

كلمات أبيه نزلت عليه كالصاعقة، بني النعمان أقوى عفريتمن الجن وقائد جيوش المسلمين الذي لم يقترف ذنبًا أو كبيرة من الكبائر طوال حياته يأتيه ولد من صلبه بهذا المجون والفساد الديني والأخلاقي! لو سمعت روهان هذا الحديث لماتت قهرًا.

ابتلع غُصة في حلقه وهو يحاول استيعاب الأمر والتفكير في حل عقلاني، لقد انشغل عنه كثيرًا في السنوات الأخيرة بسبب الحروب المستمرة وغزو الشياطين على معظم القبائل بشكل غير مسبوق، توقف عن استرساله وقبل أن يتحدث أوقفه والده وهو يشعر بتمزقه على ما يسمعه عن ولده الوحيد الذي توقع الجميع أنه سيكون أسطورة تميز ممالك المسلمين لقوته وتفرده بالمعرفة، وضع الملك يده على كتف ولده يربت عليها برفق قائلاً:

- أنا أشعر بألمك بني ولا أريد منك أن تحمل نفسك ما لا طاقة لك به، ولدك به خطب ما وأنا حاولت مرارًا وتكرارًا أن أعرف ما به ولكنه ورث عنك صفتك الأساسية، وهي الغموض الشديد، لا تنس أن أمه إنسية وأن الكتاب الذي بداخله يأخذ من طاقته ولهذا يكبر في السن أسرع من أي جني آخر وهذا سبب رئيسي في اضطرابه بهذا الشكل.

تجاوز نعمان الأمر فيبدو أن ولده يحتاج إعادة تأهيل بشكل جدي.

- وثانيهما يا أبي؟

قالها نعمان وهو ينتظر الأسوأ فوالده دائمًا يضع الأسباب الثانوية في أول حديثه، لاحت نظرات من القلق والاضطراب في عين والده مما جعل قلقه يتزايد ، أجابه والده:

- علمت بأن «ناصور» يحشد مجموعة كبيرة من الجن الكافر لينتقم منا على قتل أخيه عزازير.

تفحص ملامح ولده الهادئة والتي لا تعبر عن مفاجأته، رفع نعمان زاوية فمه بعدم اهتمام قائلاً:

- أعرف يا أبي.

شعر الملك بالغضب وبنبرة عتاب قال له:

- تعرف منذ متى؟! ولماذا لم تخبرني؟

بحث نعمان عن كلمات مناسبة يرضي بها والده ولكنه باغته بالقول:

- لقد كبر والدك وأصبحت أنت الملك ولهذا لم تخبرني؟!

جحظت عينا نعمان بدهشة ووقف يقترب من أبيه يقبّل يديه معتذرًا بأسف شديد وهو يحاول توضيح وجهة نظره:

- لا تقل ذلك أبي فما زلت أنت الملك وأنا من حاشيتك، أنا لم أعرف بالأمر إلا من وقت قريب ولم ألتقي بك قبل اليوم لأخبرك به.

تفهّم أبيه الأمر وسأله مباشرة:

- لن نتحمل هجومًا جديدًا يا بني، وهذا ناصور أنت تعرفه جيدًا هو أقوى جني من سلالة الشياطين.

حاول نعمان طمأنته ببعض الأخبار عن تجهيزه لمجموعة قوية من العفاريت سيتصدون لجنود ناصور إذا فكر بالهجوم عليهم، فهو بالفعل لا يشغله الآن سوى يوناس.

استأذن والده وخرج من القصر عازمًا على تلقين ولده درسًا قاسيًا، فهو لن يمرر الأمر بهذه البساطة!

لقد أنهكتها الذكريات وقررت العودة للمنزل قبل غروب الشمس فهي ما زالت تخشى الليل وتكرهه بدونه، شعرت بأحدهم يتبعها فسيطر الخوف عليها قليلاً وأسرعت خطاها حتى وصلت لسيارتها فركبتها وانطلقت نحو المنزل، تنهدت براحة حين أحست بالأمان من الواضح أنها كانت تتوهم الأمر، وكالعادة لا يوجد أحد بالمنزل في هذه الساعة، ألم رأسها عاد إليها من جديد فور دخولها المنزل ولكنها تجاهلت الأمر وكأنها اعتادت عليه فهو ملازم لها منذ عدة أيام.

دلفت إلي غرفتها وأضاءت الإنارة فوجدته يجلس على المقعد أمامها، اختض جسدها وعادت للخلف تنظر حولها بذعر شديد، لم تستطع تجاهل الأمر كما أوصاها يوناس إن رأت جنيًا تتجاهله ولا تجعله يشعر أنها تراه، لكن ذلك الجني فاجأها بجلوسه هكذا داخل غرفتها، حاولت التماسك قليلاً وسألته:

- مَن أنت؟! وماذا تريد؟

ابتسم لها وتلونت عيناه للون الأخضر فشعرت قليلاً بالاطمئنان، لقد أخبرها يوناس عن تغيّر لون عين الجن ودلالة كل لون منهم، واللون الأخضر يدل على أنها ليست في خطر.

لاحت ابتسامة طفيفة على وجهها حين تذكرت مقولتها ليوناس:

- عيناك تتلون مثل إشارة المرور.

تركت ذكراه التي لا تفارق عقلها وانتبهت للجني الذي اقترب منها أكثر مما يجب، عادت للخلف عدة خطوات حتى التصقت بالجدار خلفها وهي تحذره:

- لا تقترب أكثر من ذلك.

رفع كفيه باستسلام وابتعد هو الآخر عدة خطوات للخلف قائلاً:

- لا تخافي سيدتي، فأنا لم آتِ لأؤذيك.

سألته وهي تزفر بنفاد صبر:

- إذاً ما الذي جاء بك؟!

- اسمي «ساهف» وأنا من الجن المسلم لا تخافي، أنا فقط سمعت عزفك وسحرني لهذا جئت لسماعك وأنتِ تعزفين ولكن تفاجأتُ بأنك تستطيعين رؤيتي.

تنهدت براحة فهو لا يشكل خطرًا عليها ولا حتى يعرف من هي ولكنها بقوة وبثبات أخبرته:

- حسنا يا «ساهف» لقد تشرفت بمعرفتك وأرجوك اذهب لعالمك، ولا أريد رؤيتك مرة أخرى.

وأشارت بيدها نحو الباب، خطا أمامها مطأطأ الرأس بحزن وقبل أن يختفي قال لها:

- كنت أتمنى أن نصبح أصدقاء، فأنا ليس لي أصدقاء من الجن.

شعرت بالأسف لأجله فهي مثله تمامًا لا تملك أصدقاء حقيقيين فكل من تعرفهم هم زملاء في الجامعة ولا علاقة صداقة حقيقية مع أحد منهم فطبعهم وعاداتهم مختلفة تمامًا على ما تربت عليه فلم تستطع تجاوز هذا الأمر وخلق بيئة صالحة للصداقة، ولا حتى الحب، فلسنوات طوال لم يكن لها غيره «يوناس».

وفجأة لمعت فكرة بعقلها، يمكن لهذا المسمى «ساهف» أن يخبرها عن أحواله فهي لا تجرؤ أن تسأل خالتها أو أن تتكلم بأمره مع أحد،

بهمسٍ مرتجف رددت اسمه فعاد ساهف إليها سريعًا بوجه سعيد ومبتسم وهو يشكرها على استضافتها له وقبول صداقته، لا تعرف أنها اتخذت القرار الأغبى في حياتها!

دخل غيث غرفة الفتاة فوجدها نائمة بهدوء ولا يوجد بها أي شيء غير طبيعي، شعر على الفور بذبذبات سلبية تدل على وجود أحدهم في جسدها، جلس على مقعد بجوار فراشها وطلب من والدها إغلاق الباب، فهَمّ لوكاس بالخروج فأوقفه غيث يخبره أنه يحتاجه، هو لا يحتاجه في شيء ولكن لا يجوز له الجلوس مع فتاة بدون محرم فأشار إليه أن يقف بعيدًا عن ابنته، فعل لوكاس ما أمره به غيث واتخذ ركنًا بعيدًا من الغرفة مقرًا له، أغمض غيث عينيه وملامحه جامدة وجدية وبدأ في تلاوة بعض آيات القرآن، لحظات وبدأت تتململ في نومها، لقد شك به ولهذا اختار أن يبدأ بقوله تعالى:

«وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا».

«وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا، وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ في الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورا».

شعر»دهار» بالألم ولكنه ابتسم على وجه الفتاة بصوت مرتفع فدب الرعب في أوصال أبيها الواقف في نهاية الغرفة يلتصق بالجدار، سأله غيث بصوت قوي ورنان:

- ماذا تريد من الفتاة يا دهار؟

أجابه بصوته المخيف:

- كانت وسيلة لمجيئك هنا يا غيث.

نظر غيث لوالد الفتاة الواقف لا يفهم شيئًا من اللغة العربية، ولكن مجرد سماع هذا الصوت المرعب حد الموت جعله يرتعد خوفًا، أشفق غيث عليه وأشار إليه أن يخرج من الغرفة، وكأن الله استجاب لندائه فخرج مسرعًا برعبٍ شديد وأغلق الباب خلفه، أجلس دهار الفتاة ليواجه غيث بعينين حمراوين من الغضب ولكنه قال له باستهزاء:

- الشيخ الكبير غيث يختلي بفتاة أجنبية في غرفة نومها؟!

ثم أصدر ضحكة مدوية اهتزت لها الغرفة، زفر غيث بضيق من طريقة دهار الملتوية التي يعرفها جيدًا، فحذره:

- إن كنت تريدني فاخرج من جسد الفتاة المسكينة ودعنا نصفي حسابنا سويًا.

بصوت بارد كالثلج قال له:

- أنت تعلم أنني أتمنى ذلك غيث، ولكني لن أفعلها فأنا أعرف عن خدعك وأحفظها عن ظهر قلب.

حاول غيث استفزازه قائلاً:

- أأنت خائف أيها الشيطان العظيم؟

غضب دهار ولكنه يعرف غيث فبينهما سنوات كثيرة لا يستطيع الاقتراب منه وهذا يُغضبه بشدة! أكمل غيث بتشفٍ وبنبرة استعلاء:

- أنت تعرف جيدًا أيها الجني الكافر أنك لست ندًا لي؛ لذا لا تستطيع الخروج لمواجهتي ولا مرة واحدة، من سنوات وأنت تطاردني في كل بلدة وتظلم معك أناسًا أبرياء، لمَ قتلت الخادمة يا دهار؟!

أجابه وقد اشتد غيظه:

- أنا لم أقتلها هي من قتلتها بدم بارد، أنا فقط أخبرتها على الطريقة المناسبة، أنت تعرف جيدًا أننا لا نستطيع قتل إنسي.

بتحدٍ واضح وكبير وقف غيث قائلاً:

- إن كنت تمتلك الشجاعة الكافية لمواجهة إنسي ضعيف؛ فهيا بنا ننهي الأمر الآن يا دهار!

أتكأ المارد ناصور بجسده الضخم وطوله الفارع على عرشه وهو يمسك جزءًا كبيرًا من عظام أحد الحيوانات يأكله بشراهة ثم بدأ ينادي على «ظام» بصوت رج أركان المكان الذي لم يكن إلا كهفًا كبيرًا تملؤه مياه برائحة مقززة من أثر تحلل الحيوانات الميتة

قط أسود ذو عينين سوداوين مظلمة، كبير وضخم ركض نحوه ثم تحول لجني لم يختلف سواده عن القط شيئًا، أحنى رأسه بتحية إجلال قائلاً:

- أمرك أيها الملك.

توقف عن التهام العظام وسأله:

- كم عدد المردة والغيلان التي استطعت الحصول عليهم؟

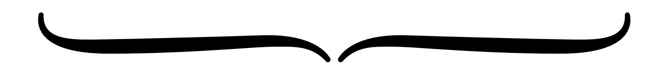
ابتسم «ظام» بفخر قائلاً:

- عددهم كثير جدًا لا تقلق سننتهي من قبيلة بني دهمان الليلة سيدي.

أطلق ناصور ضحكة يترد صداها عاليًا وهو يقول:

- لم يتبقَ إلا القليل بني النعمان وستكون تحت أقدامي.

ثم قذف نحوه جزءًا من العظام التي يلتهمها فأخذها «ظام» بفرح شديد ثم تحول مرة أخرى لقط أسود وانطلق خارجًا من الغرفة.



الفصل الثالث

خرج يوناس من مملكته يدور في البلاد بلا هدى يبحث عن أشخاص يجرب التحكم بأفعالهم وجد حانة كبيرة في إحدى المدن يتوافد عليها الناس بشكل ملحوظ، دخل خلفهم ليشاهد ما يفعلونه، جلس على زاوية في أعلى القاعة الكبيرة ليستطيع منها مراقبة ما يحدث عن قرب، وقعت عيناه على منضدة كبيرة يجلس الناس حولها ويلعبون بالورق ومن يفوز يأخذ كل المال، ومَن غيره يقف على رأس تلك المنضدة الشيطان «مقلاص» يمارس عمله ويوسوس لهذا وذاك حتى يستمروا في اللعب إلى أن ينقضي الأمر بقتل أحدهم للآخر!

هز يوناس رأسه بعدم اهتمام، فهو يعرف ما سيحدث بعد قليل، ستنقلب هذه الجلسة للقتال فمقلاص لن يتركهم يعودوا سالمين، نقل عينيه للتي تقف على المسرح تتلوى بشكل سافر وعيون الرجال الجالسة أمامها تريد التهامها حية، وبالطبع الشيطان «أعور» لم يقصّر بمهمته أبدًا، فلكل رجل في القاعة امرأة خاصة به!

شعر بانقباض قلبه وضيق تنفسه وسط كل هذا المجون، فهو مهما فعل من آثام مازال يملك من الإيمان ما يكفيه للرجوع إلى صوابه، ضم حاجبيه عندما وجد الشيطانة «لاقيس» تجلس بجواره، شعور بالاشمئزاز والنفور أصابه فور قربها، سألها وملامح وجهه تتجعد بتقزز:

- تركتي مهامكِ البغيضة وجئتِ تجلسين بجواري يا «لاقيس»؟

أطلقت ضحكة أشعرته بالغثيان وقرر ترك المكان بأكمله، أوقفته لاقيس قائلة:

- ألا تريد مشاهدة ما سأفعله الآن؟

نظر لها نظرة بغض تعبّر عما بداخله وهو يقول:

- آخر ما أريد مشاهدته هو جعل الرجال يشتهي بعضهم البعض لاقيس.

رفعت كفيها باستسلام وبنظرة أخبث من طباعها قالت له:

- جئت لتجرب السيطرة على البشر يا سليل ملوك الجان، ولكنك لم تفعل بعد؟!

أضاءت الفكرة بعقله مرة أخرى ولاقت وقعًا في نفسه فهو بالفعل يريد أن يشعر بالسيطرة ولو قليلاً، استغلت لاقيس حيرته وباغتته بالقول:

- دعني أجعلك تجرب شيئًا بسيطًا، رفع حاجبه وضم عينيه يتفحصها فابتسمت ببراءة شيطان محنك:

- لن تؤذي بها أحد، أعدك.

لم تنتظر أكثر لتقطع أي تفكير له بالعودة فأمسكت بيده تجره نحو منضدة تجلس بجوارها فتاة صغيرة في السن لا يجلس معها أحد.

جسدها يرتجف من الخوف وعيناها تدور في المكان بأكمله بذعر، وبرغم ملابسها العارية التي تدل على انتمائها لهذا الوحل إلا أنه من الواضح أنها المرة الأولى بالنسبة لها، اقتربت لاقيس منه قائلة:

- هذه الفتاة الضعيفة المسكينة توفي والدها وهي في الجامعة، تركت الجامعة وذهبت للعمل في أحد المطاعم كنادلة لتستطيع إطعام نفسها، ولكن حارس المطعم اشتهاها لنفسه فتتبعها لمنزلها واقتحمه واغتصبها بالقوة.

ثم التفتت نحو «أعور» بابتسامة فخر قائلة:

- مهمة ناجحة جدًا لأعور تضاف لرصيده اليوم.

احمرت عينا يوناس بغضب فأسرعت لاقيس قائلة:

- لا تنظر لي هكذا فأنت تعلم أنها مهمتنا في الحياة، ثم لماذا يقع اللوم علينا دائمًا ألا يعلم هؤلاء البشر الخطأ من الصواب؟ ألم يحذرهم خالقهم منا؟!

لم يستطع يوناس سماع كلمات أخرى فقد بدأ يقتنع بوجهة نظرها، أدرك نفسه وهدر بها:

- أكملي لاقيس فنحن لا نناقش اليوم الصراع الأبدي بينكم وبين البشر.

أجابته وهي تعاود النظر للفتاة:

- حسنًا، حسنًا.

بعدما اغتصبها الحارس جعلها توقع على ورقة بأموال طائلة وأمرها بأن تعمل هنا كعاهرة وإن لم تفعل سيكون مصيرها السجن، وهذا أول يوم لها هنا.

تعاطف يوناس مع هذه المسكينة وشعر بالحنق الشديد على من فعل هذا بها، لحظات ووجد ووجد رجلاً ضخم الجثة يقترب منها وعيناه تضيء بالرغبة الوحشية، همّ أن يقترب منه يمنعه فأوقفته لاقيس محذرة إياه:

- لااااا يوناس نحن لا نتدخل في اختيارات البشر، لقد فهمت الأمر على نحو خاطئ.

نظر لها بحيرة لا يفهم شيئًا، فزفرت بنفاد صبر قائلة:

- هذا هو اختيار الفتاة يوناس.

لم تفارق عيناه الفتاة ودموعها تتساقط على خدها والرجل بجوارها يعبث بجسدها بدون ذرة رحمة، سألها وحيرته تزداد:

- ألم تخبريني أنها مجبرة على فعل ذلك؟

ابتسمت بثقة:

- لا أحد في هذه الحياة مجبر على فعل شيء يوناس، هذه الفتاة كانت لديها خيارات عديدة ولكنها لم تفعل أحدها.

رغم علمه ومعرفته إلا أنه يجهل كليًا عما تتحدث به هذه الشيطانة!

طرفت عيناه عندما صفع الرجل الفتاة على وجهها لأنها ما زالت تبكي وهو يستبيح جسدها العاري أمامه،

رفعت لاقيس زاوية فمها باستعلاء قائلة:

- كان من الممكن أن تذهب للشرطة وتخبرهم عن واقعة اغتصابها وتهديده لها وخصوصًا أنه أصابها إصابات بالغة من جراء عنفه، أو الخيار الأقوى يوناس، هذا الحارس نام ليلته في منزل الفتاة لمَ لم تقتله في نومه وتتحرر منه؟!

أمسك الرجل بيد الفتاة بقوة كبيرة وجرها خلفه يتوجه بها للمرحاض، دار عقله بسرعة غير مسبوقة فكلامها منطقي للغاية، أكملت لاقيس:

- لا تتعجب من تصرفات البشر يوناس فنحن الشياطين يصيبنا الاندهاش من أفعالهم.

ثم غمزت له بعينيها وهي تهمس في أذنه:

- ولكن المميز في الأمر أنه يسهل السيطرة عليهم، صدقني.

ثم تركته واختفت لتكمل عملها وهي تراقبه من بعيد، تتبع يوناس أثر الفتاة ودخل خلفهم المرحاض فوجدها تصرخ حتى شق الصوت حنجرتها وهذا الرجل يعذبها بقوة وهو يمزق جسدها بسوط كبير، ثم اغتصبها بعد أن امتلأ جسدها بالدماء من تعذيبه،

دار يوناس بعينيه فوجد جزءًا من زجاج المرآة التي تكسرت بفعل عنفه منثورًا على الأرض، نفخ بجزء حاد منه حتى تدحرج بجوار الفتاة، اقترب من أذنها يحثها على أن تتوقف عن البكاء وتقتل الرجل المنهك بجوارها في أرضية المرحاض، وبالفعل انصاعت الفتاة لأوامره وانقضت على الرجل تطعنه بالزجاجة في كل أنحاء جسده والرجل يُصيح من الألم ولا أحد يسمعه، ابتسم يوناس ابتسامة نصر لأنها انتقمت أخيرًا ممن آذاها، لا يعلم أن الحقيقة دومًا لها وجه آخر!

انتقلت لاقيس بسرعة البرق نحو «مثلث برمودا» لتخبر والدها ما حدث، فكعادته يجلس على عرشه ينتظر إنجازات أولاده اليومية، دخلت عليه لاقيس وبطقوس الخضوع أولاً سجدت له حتى أذن لها بالوقوف والحديث، كانت علامات الفرح والسعادة تتقافز على وجهها وهي تقول:

- لقد جعلت يوناس يسيطر على إحدى البشر وجعلها تقتل أحدهم يا أبي.

هز إبليس رأسه قائلاً:

- أحسنتِ لاقيس، لا تتركيه إذن حتى يصبح لنا بالكامل.

ثم أشار لها بيده:

- اذهبي وأكملي عملك فما زال هناك بضع ساعات على شروق الشمس.

انحنت أمامه بإجلال ثم اختفت لتفعل ما أمرها به.

بعد اختفائها بلحظات ظهر أحد الجن الكافر بهيئته الغريبة، فهو يمتلك أكثر من ذراع وكل واحدة منهم لها اختصاص معين، فعل ما فعلته لاقيس منذ قليل وانحنى يسجد أمامه، وظل ساجدًا لوقت ليس بقليل حتى أمره إبليس بالوقوف والتحدث، علامات الغضب ارتسمت على وجه الشيطان وهو يقول:

- هذا المكان لم يعد يكفينا سيدي، نريد الاستيلاء على قطعة من الأرض نعيش فيها!

أجابه إبليس:

- يكفينا الحرب الماضية سنجاب، ثم هذا المكان لم يعد البشر يتخطونه.

لم يشعر سنجاب بالرضى من إجابة سيده فأخبره اقتراحًا آخر:

- حسنًا سيدي كما تأمر، ولكن دعنا نطرد بعضًا من قبائل الجان المسلمين من الصحراء وفوق الجبال ونتخذ هذه الأماكن مسكنًا لنا.

أجابه إبليس بنظرة شيطانية:

- إذًا اذهب وعاون ناصور وحاولوا القضاء على أكبر عدد منهم، لقد بدأ عددهم في الازدياد بشكل ملحوظ.

ابتسم سنجاب بسعادة وألقى تحية الخروج وذهب للقاء ناصور.

شيطان مندفع لا يعلم نتيجة تهوره، لقد استفزه غيث بشدة مما جعله يغادر جسد الفتاة سريعًا وينقض على غيث يحاول الولوج لجسده، ولكن هيهات فهو محصن بطريقة لم يستطع أحد اختراقها.

ولكنه استطاع بعد وقت كبير أن يدفعه بقوة جعلت جسده يرتطم في الحائط، ابتسم بنصر، فأخيرًا استطاع إصابته، ولكن هو يريد قتله نهائيًا ليتخلص منه!

اقترب منه مرة أخرى ودفعه قبل أن يستطيع غيث الوقوف، صدعت ضحكاته وهو يرى غيث ينزف من فمه وأنفه، خطا نحوه على مهل وهو يتلذذ بتعذيبه، قرب وجهه منه قائلاً:

- غيث العظيم الذي لم يستطع جني كافرًا كان أو مسلمًا تحديه أو مغالبته.

بصق غيث دماءه من فمه بقوة، فأطلق دهار ضحكات أخرى وهو يراه يحاول الوقوف ولا يستطيع، جلس دهار على ركبتيه أمام غيث وهو يتصنع البكاء باستهزاء قائلاً:

- هذه نهايتك يا غيثي الحبيب، لا تتركني أيها الغيث وتذهب، لا تركض نحو النور غيثي العزيز.

ثم انقلب لضحك هستيري لحظات وتوقف يرفع يده ليضربه آخر ضربة ستودي بحياته على الفور وهو يقول:

- حسنًا لقد جئت لنهايتك كما خططت لك تمامًا.

وقبل أن يصفعه أمسك غيث بيده المزينة بالسوار رقبته بقوة وبدأ يردد بعض آيات القرآن الخاصة به، شعر دهار بالاختناق الشديد فحاول أن يهرب منه ولكن جسده بدأ يضعف من الآيات التي يتلوها غيث، مرت بضع دقائق على هذه الحال ودهار لا يستطيع حتى الصراخ، فقد دهار كل قوته وبدأ يلفظ أنفاسه الأخيرة وغيث لا يتوقف، وفجأة استكان جسد دهار بين يديّ غيث فأكمل الرُقية لنهايتها ثم تركه ليحترق جسده ويتحول لرماد في الحال، أخذ بضع أنفاس متلاحقة، فقد استهلك هذا الشيطان قوته وسيظل ضعيف الجسد هكذا لأيام.

استند على ظهر الحائط حتى استطاع الوقوف وهو يقول:

- بل أنت الذي جئت لنهايتك كما خططت أنا يا دهار!

استأذن لوكاس بعد أن أخبره أن ابنته بخير هي فقط نائمة وحين تستيقظ سيجدها كما كانت.

شكره الرجل، ولكنه ارتعب من شعره المشعث وملابسه غير المتناسقة، ولكنه لم يسأل فقد سمع ما يكفيه داخل الغرفة.

استقل غيث سيارته عائدًا للمدينة، وفي طريقه وجد حشدًا من الشياطين ينطلق نحو وجهة مخالفة له، لم يستطع تجاهل الأمر والتف بسيارته يلحق بهم، لم يمض كثيرًا ووجدهم يحلقون فوق أحد المنازل بشكل متناسق، وبحركات إيقاعية وكأنهم مسحورون، لم يرَ هذا المشهد من قبل طوال حياته ولا حتى سمع به!

ردد بهمس متعجبًا:

- ما الذي يحدث؟!

ترجّل من سيارته وذهب لهذا البيت، ولكن دقائق ووجدهم قد عادوا أدراجهم فعاد سريعًا لسيارته قبل أن يلمحه أحدهم، توقف قليلاَ ليشاهد ما يحدث فلم يجد شيئًا غير طبيعي، لم يقترب وفضّل الذهاب للمنزل ليريح جسده المنهك قبل أن يفقد سيطرته عليه، ومؤكد سيعود إلى هذا البيت مرة أخرى ليكتشف علّته!

تمددت إيلينا على فراشها وهي تستمع لحكايات ساهف المتعددة عن قبائل الجن، لا تريد إيقافه وإخباره أنها تعلم كل شيء عنهم لعله يصل بهذا الحديث إليه، بدأت تتململ في مجلسها لقد أوشك أبواها على العودة من العمل ويجب أن تجعله ينصرف الآن قبل أن يكتشف أحد منهما وجوده، فتحت فمها لتصرفه ولكنها توقفت عند سماعها اسمه وساهف يخبرها:

- يوناس هذا كان يبغضه كل شباب القبائل في البداية لأن والدته إنسيه.

انتبهت له كل حواسها وشجعته بابتسامة رقيقة أن يكمل حديثه، فاكمل ساهف قائلاً:

- ولكن اختلافه جعل الجميع بعد ذلك يريد مصادقته.

فسألته إيلينا حتى لا يشك بأمرها:

- كيف اختلافه، هل هو نصفه إنسي ونصفه الآخر جني؟

ضحك ساهف بملء فِيه يجيبها:

- لا إيلينا، ولكنه يكبر مثل البشر فهو في سن الشباب الآن.

ثم اقترب يهمس لها:

- وأيضا جسده يحتوي على كتاب أسرار الجن.

لم ترد إطالة الأمر فليس أمامها سوى دقائق قليلة، قالت:

- حسنا أكمل يا ساهف.

- اختلافه كما أخبرتك جعل الجميع يحاول التقرب إليه، ولكنه كان دائم الاختفاء ولا أحد يعلم إلى أين يذهب.

عادت إيلينا لسنوات كان يلازمها فيها يوناس مثل الظل، ولكنها انتبهت بعينين جاحظتين لجملة ساهف الأخيرة:

- حتى أتى يوم كان غاضبًا بشدة، قابلته وهو عائد لقصر والده ولم أرَ جنيًا غاضبًا حتى الآن وجهه وكأنه يشع نارًا مثله، وبعدها أصبح يوناس شخصًا آخر، وأبشع جرمٍ يرتكبه إلى الآن هو الزنا!

وقف يوناس أمام والدته بعد أن استدعته لثلاث مرات أخرى، لم يبدِ اهتمامًا كبيرًا لحديثها وظل واقفًا يستمع فقط، شعرت بعدم مبالاته لما تقول فاقتربت منه وهي تحاول السيطرة على غضبها قائلة:

- هل استمعت جيدًا لكلامي معك يوناس؟

هز رأسه إيجابًا، فأكملت روهان بأسى وحزن:

- هل تعلم كم عانيت حتى أنجبتك يوناس، وما زلت أعاني معكم حتى الآن بسبب اختلافي بينكم، هل جزائي منك هو تجاهلي بهذا الشكل المنفر؟!

لم يتحدث أيضًا وآثر الصمت مما جعلها تتنهد بألم وهي تسأله :

- هل أنت راضٍ عن نفسك هكذا؟

تأفف بضيق قائلاً:

- أمي أرجوكِ كُفي عن مشاعرك الإنسانية المثيرة للاشمئزاز هذه وحاولي أن تدركي ماهية الأمر.

ترقرقت عيناها بدموع حبيسة لا تريد إخراجها وسألته بوهن:

- وما هي ماهية الأمر يا ولدي؟! أخبرني أنت حتى أكف عن هذا الهراء الخارج من فمي.

اقترب من وجهها بعينين حمراوين من الغضب قائلاً:

- ماهية الأمر أنني أقوي جني جاء على هذه الأرض، وأملك من المعرفة والقوة ما لم يملكه جني أو حتى عفريت، ولهذا يجب عليكم معاملتي بطريقة خاصة جدًا.

ضمت روهان حاجبيها وسألته باستهزاء:

- وما هي المعاملة الخاصة التي تحتاجها يا بني؟

توقف عن الحديث حين وجد أبيه يقف أمامه وعيناه تدلان على مصائب شتى، ارتد للخلف بردة فعل تلقائية، فهو يحب أبيه ويحترمه ولكنه مازال يهابه فمن لا يهاب بني النعمان.

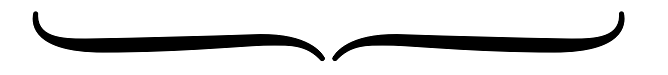
سأله والده دون مراوغة:

- هل مارست علاقات غير شرعية مع نساء من الجن؟

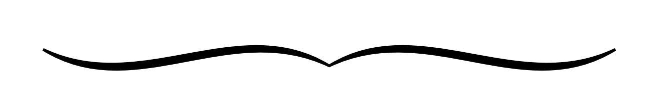
أجابه يوناس بكل ثقة وبدون ذرة ندم:

- نعم لقد فعلت هذا.

عندما أتم جملته وجد صفعة مدوّية على وجنته جعلته ينفجر غضبًا ويترك أبيه وأمه ويهرب إلى أبعد نقطة على وجه الأرض التي فيها يقع عرش إبليس!



الفصل الرابع



وصل سنجاب لكهف ناصور وهو يبتسم بسعادة، أيامٌ قليلة وسينتقل للعيش في أرض المسلمين، وأسعد ما في الأمر أنه سيقتل جزءًا كبيرًا منهم.

تعالت ضحكاته بخبث فأتاه أحد الحرس يسأله عن مطلبه، طلب سنجاب منه أن يخبر سيده أنه يريد رؤيته لأمر هام، لحظات واستقبله ناصور متسائلاً:

- ماذا تريد يا سنجاب؟

التقط سنجاب بإحدى يديه جزءًا من العظام الملقاة في الماء وأخذ يأكلها بشراهة وهو يجيبه:

- أريد أن نتحد ضد قبائل المسلمين، أنت تريد الانتقام وأنا أريد جزءًا من الأرض لعشيرتي، ماذا قلت؟

ضحك ناصور بسعادة فهو يحتاج مددًا ومعاونة حتى يستطيع أن يقضي على ممالك المسلمين، ويتخلص من عدوه اللدود، أجابه ناصور بثقة كبيرة:

- لنجمع جيوشنا سويًا ونحاول حشد أكبر عدد من الغيلان المَردة، وقتها سنتأكد حتمًا من الفوز.

أجابه سنجاب وهو يأخذ قطعة عظام بيد أخرى ويتناولها على مهل:

- لا تقلق بأمر الغيلان والمَردة سيكونون تحت إمرتنا قريبًا جدًا

اعتدل ناصور في مجلسه وهو ينتفخ من البهجة قائلاً:

- حسنًا يا سنجاب فلنفعلها ونقضي عليهم.

ثم رفع كفه أمامه قائلاً:

- ولكن بشرط، بني النعمان لي وأنا من سيقضي عليه بكلتا يديّ.

هز سنجاب رأسه بالموافقة ثم ضم عينيه بثقة:

- فلنبدأ إبادتهم يا ناصور.

قاطعهما أحد الجنود وهو يلهث قائلاً:

- لقد ترك يوناس مملكة الملك الأبيض ورحل لمملكة الشيطان الأكبر «عزازيل».

نظرا لبعضهما البعض وكأنهما انتصرا في المعركة انتصارًا مؤجلاً، شعر الاثنان بالنشوة، ولكن ناصور هو من بدأ الحديث، وبرغم بهجته بهذا الخبر خرج صوته قلقًا:

- يوناس لن يمكث فترة كبيرة في عالم الشياطين، مؤكد سيعيده أبوه في أسرع وقت.

وقف سنجاب بثقة وسرور قائلاً:

- لقد سمعت لاقيس ليلة أمس تخبر سيدي عزازيل أنها استطاعت أن تجعل يوناس يوسوس لأحدهم حتى قتلت إنسيًا.

ثم أردف بارتياح:

- سأذهب لمقابلة لاقيس وأطلب منها ألا تترك يوناس يعود قبل هجومنا على مملكة الملك الأبيض.

عادت ملامح ناصور تبتهج وهو يقول:

- حسنًا، وبعدها حاول جمع الغيلان والمَردة كما اتفقنا، فلا يوجد أمامنا وقت كبير.

هز سنجاب رأسه إيجابًا ورحل في لحظات،

أكمل ناصور بابتسامة مكر:

- وأنا يجب أن أستدعي جاسوسي الخاص وأرى ماذا يفعل في مهمته.

مرت عليها أسوأ ثلاثة أيام في حياتها، امتنعت فيها عن الطعام والشراب، وحتى الذهاب للجامعة، باءت كل محاولات والدها ووالدتها بالفشل أن يجعلاها تترك آلات العزف وتخرج من غرفتها، أنجزت في معزوفتها مشروع التخرج في هذه الأيام الثلاثة ما لم تنجزه طوال العام.

حـزنٌ، ألـمٌ، أسـى واسـتياء يـغلف مـشاعـرهـا بـغلاف مـن الـتعاسـة الـخالـصة، أسـئلة كـثيرة دون إجـابـة تـلف عـقلها وتسيطر على إدراكها وتجعل القسوة والكُره هما الاختيارات المناسبة للوقت الحالي، أغمضت عينيها بقوة وأسرعت من وتيرة عزفها بشكل ملحوظ وغير مسبوق.

ركضت دانا نحو غرفتها بفزع حين سمعت عزفها يزداد حدة وسرعة أوقفها عز وهو يمسك بيدها قائلاً:

- اتركيها يا دانا فنحن لن نستطيع مساعدتها الآن.

زفرت دانا بضيق وهي تقول:
- لقد كنت على يقين أنها تناست الأمر، ما الذي حدث لتعود لهذه النقطة مرة أخرى؟

أجابها عز وهو ينظر لباب غرفة إيلينا الموصد:

- كنا نظن أنها تناست الأمر يا دانا، لم نكن يومًا على يقين.

تعلقت عينا دانا بلوحة خلف عز ابتاعتها إيلينا من معرض أحد زملائها في الجامعة، الرسمة كانت عبارة عن فتاة تقف خلف باب مغلق وحبيبها يقف على الجانب الآخر وكلاهما يتكئ على جهته، شهقت دانا بذعر وهي جاحظة العينين قائلة:

- هل تعتقد أن يوناس كان يقابلها خلسة ولم يتركها بالفعل خلال هذه السنوات؟

أجابها بشك:

- لا أعتقد يا دانا، وإلا كنا اكتشفنا الأمر.

أفلتت دانا يدها من عز وطرقت على باب الغرفة بقوة حتى تسمعها إيلينا وهي تردد:

- لن أتركها يا عز تنهي حياتها بسبب تجربة حب لن تعيشها أبدًا.

توقفت إيلينا عن العزف وفتحت الباب فصاحت بها دانا:

- أريدكِ أن تتحدثي لنا الآن عما بك.

هزت إيلينا رأسها نفيًا، ففهمت دانا أنها تعترض، فأوقفها عز بنظرة تحذير، ثم التفت لإيلينا قائلاً:

- حسنًا، اخرجي من الغرفة حبيبتي واذهبي لأي مكان ترتاحين فيه، وحّدي أفكارك وتنفسي هواءً نقيًا وعودي مرة أخرى.

ثم رفع سبابته قائلاً:

- ولا تتركي هاتفكِ في المنزل يا إيلينا.

هزت رأسها إيجابًا بملامح جامدة لا تعبر عن شيء، عادت لغرفتها وبدلت ثيابها وخرجت تجر أذيال الخيبة والألم ووجهتها الأساسية بحيرة كونجيسي، وصلت إلى مقعدها المعتاد تنظر على مكان جلوسه

بجوارها بوجهٍ متهجم عابس، تجعدت ملامحها إثر تذكر وعوده الكاذبة، «لن أتركك إيلينا، مستحيل أن أخونكِ مع إحدى الجنيات، أنتِ لي إيلينا».

انحنت تلتقط حجرًا من الأرض تقذفه داخل الماء بغضب وهي تنوح بهياجٍ جعل بعض الناس تلتفت نحوها فلم تُعرً أحدًا انتباهًا واستقامت لتذهب في ركن بعيد نسبيًا في الحديقة لتستطيع الصياح به كما تريد،

لقد استهلك هذا الملعون «دهار» قوته بالكامل، فاليوم هو الثاني على التوالي الذي يلازم منزله دون حراك، فلم يبرح فراشه إلا وقت الصلاة، وأكله عبارة عن طعام جاهز يصله للمنزل، نهض من فراشه يمدد جسده بإرهاق مرددًا:

- أشعر اليوم بتحسن كبير.

لم ينتظر دقائق أخرى وارتدى ثيابه وخرج من منزله متوجهًا لأقرب حديقة عامة ليستنشق بعضًا من الهواء النقي، لقد ملّ من الجلوس في المنزل عاجزًا عن فعل شيء، بلغ وجهته وجلس على أقرب مقعد وهو يتنهد براحة واسترخاء، يستمتع بزقزقة الطيور، ويستنشق رائحة الزهور المنعشة، ويستلذ بطعم ملوحة الماء في البحيرة القريبة من مقعده.

ضم حاجبيه وتوقفت حواسه عن الاستمتاع بالطبيعة المنعشة حين شعر بالهواء ينقل إليه ذبذبات سلبية لكيان خفي يعرفه جيدًا،

تتبع أثره في الهواء حتى وصل لركنٍ في آخر الحديقة تجلس به فتاة من الواضح على وجهها أنها ناقمة وغاضبة وساخطة من كل شيء حولها، تقذف الحصى على أي شيء حولها بحنق شديد، تتبعها الجني بعينيه فوجده يجلس بجوارها، التصق حاجباه ببعضهما من أثر الدهشة! فهو يرى الفتاة تلتفت حولها لتتأكد أن المكان خالٍ من البشر، ثم بدأت في الحديث معه وملامح وجهها المتعضة كما هي لم تتحول للذهول ولا حتى الخوف، من الواضح أنها تراه بالفعل!

اختبأ غيث خلف إحدى الأشجار حتى لا يراه أحد منهم، يجب أن يعرف مَن تلك الفتاة؟! وفيمَ تتحدث مع هذا الجني؟!

بعد دقائق من جلوسها منعزلة بدأت تجمع الحصى وتقذفه بعيدًا بغضب واضح، اختض جسدها تلقائيًا عندما وجدته يجلس بجوارها، وجدت صداع رأسها يتصاعد فأيقنت أن سبب آلام رأسها هو اقتراب ساهف منها،

التفتت يمنة ويسرة بحذر تتفحص المكان حولها فلم تجد أحدًا، سألته ومازالت محتدة المشاعر:

- أنا لم أطلب رؤيتك يا ساهف! لماذا أتيت الآن؟

زمّ شفتيه بحزن وهو يجيبها:

- عرفت أنكِ حزينة وغاضبة فجئت لأبصر ما بكِ.

تنهدت بألم وهي تتطلع للأمام وتقذف بالحصى ليصطدم بالشجرة المقابلة لها:

- لن تستطيع فعل شيء يا ساهف، فحُرقَة قلبي لا علاج لها.

قرّب وجهه منها قائلاً برقة:

- أخبريني ما بكِ إيلينا، فأنا على استعداد لفعل أي شيء يخفف عنكِ.

تحركت مشاعر ود وامتنان بداخلها تجاه ساهف، هذا الجني رقيق المشاعر.

اقتربت الشمس من الغروب، فنظرت إيلينا لشعاع الشمس البرتقالي وهو يختفي خلف السحاب وقالت:

- اكتئاب الليل قد حل.

رددتها وهي تنظر نحو ساهف لتكمل:

- تستطيع قضاء الليلة معي في المنزل.

انفرجت أساريره بسعادة بالغة ووافق على الفور، رنين هاتفها جعلها تخرجه من حقيبتها بتأفف قائلة:

- يجب أن أعود للبيت الآن.

استقام ساهف يمد لها يده قائلاً:

- أستطيع أن أنقلكِ سريعًا.

هزت رأسها نفيًا:

- شكرا لك يا ساهف سأعود كما جئت بسيارتي.

سحب يده بابتسامة ودودة:

- حسنًا كما تريدين.

قامت إيلينا من المقعد تحمل حقيبتها ثم انصرفت تركب سيارتها لتنطلق بها نحو المنزل وساهف يجلس بجوارها، استقل غيث سيارته ولحق بها حتى توقفت إيلينا أمام المنزل وخرجت من السيارة وخلفها ساهف، وغيث يرصدهما من بعيد وعلامات الذهول تزين وجهه مرددًا:

- يا إلهي هذا هو المنزل !!

عندما وصل إليهم خبر انتقال يوناس لممالك الشياطين أصيبت مملكة الملك الأبيض وعشائر المسلمين أجمعها بزلزال هز أركانهم، اجتماع سريع وعاجل لملوك الجان السبعة وانقلاب المملكة رأسًا على عقب،

لقد رحل يوناس مصدر أمانهم وحامي ممالك المسلمين بما يحمله بداخله من أسرار ومعرفة يجب ألا يُظهر شيئًا منها للشياطين وإلا أصبحت طوائف الجن المسلمين في خبر كان!

عاد بني النعمان من معركة لتصدي هجوم من مجموعة من الجن الكافر في مملكة الملك «عبد الله المذهب»، أنهكته المعارك والهجمات المخططة والموجهة على كل ممالك المسلمين بمنهج مدروس ومتقن، يجب أن يصل لقائد التخطيط ويقتله حتى تضعف شوكتهم.

هذه الأفكار كانت تسيطر على تفكيره حتى هبط لمملكته فوجد الهرج والمرج يسود المملكة بأكملها، أوقف نعمان أحدهم يسأله عما يحدث، توتر الرجل بشكل واضح وبدأ يتحدث بكلمات متقطعة، زجره نعمان بنظرة تحذيرية فحاول تجميع كلماته بشكل واضح:

- وصلنا خبر أن ولدك يوناس ذهب لمملكة عزازيل.

لم يستطع وقتها تحديد شعور واضح فقد اختلط حزنه مع غضبه وخوفه مع قلقه الشديد على زوجته، وشعور بالخذلان لا يستطيع السيطرة عليه، فما حالها هي إذًا، ردد بخفوت:

- روهاااان.

وفي لحظات وصل لقصره يبحث عنها إلى أن سمع صوت نحيبها يصدر من إحدى الغرف،

انتقل إليها بسرعة البرق فوجدها تفترش الأرض وتضع كفيها على وجهها تبكي بكاءً مريرًا، جلس أمامها على ركبتيه ثم جذبها نحوه وشدد من احتضانها وتركها تبكي على صدره، لحظات وازدادت حدة أنينها لتصبح شهقات متتالية، توقفت بعد مدة ليست بقليلة ولكنه صبر عليها للنهاية.

ابتعدت عن صدره وهي تجفف دموعها بوهن، خبر ذهاب ولدها للشياطين نزل على رأسها كالصاعقة، لم تعد تحتمل مزيدًا من الضغط فقد فقدت آخر ذرة تعقل، كانت تظن أن الحب والعشق هو ما سيجعلها تتحمل العيش مع الجان ولكن كل أحلامها ذهبت هباءً منثورًا، لم يعد نعمان بجوارها دائمًا مثل السابق، لقد انشغل بالحروب والمعارك مع الشياطين وتركها تعاني مع كيانات لا تشبهها إطلاقًا، وبرغم أنه يتركها تذهب لتعيش مع والديها ولكنها لا تستطيع المكوث على الأرض كثيرًا بسبب يوناس، فهو يريد العيش وسط بيئته الطبيعية، أوقات سيئة مرت بها، وأوقات أسوأ بدأت بعد ذهاب يوناس ولدها الذي ضحت براحتها وعيشها الطبيعي من أجله، قربها نعمان لصدره مرة أخرى وهو يمسد على شعرها برفق ويقبل رأسها من آن لآخر، تنهدت بألم فهذا هو عشقها الذي تحدث به العالم وأولهم طبيعتها الإنسانية، سؤال دار بعقلها وما زال يتردد صداه: «لو لم يظهر نعمان في حياتها كيف كانت ستختلف عن الآن؟ هل كانت ستتزوج رجلاً من الإنس وتنجب منه صبيًا أو فتاة أو كليهما مثل أختها دانا؟! كانت ستعيش حياة هادئة وطبيعية كالبشر التي تنتمي إليهم».

قاطعها نعمان عن استرسالها وهو يُبعد وجهها عن صدره ويضع كفيه على وجنتيها بحنان متسائلاً:

- هل أنتِ بخير الآن حبيبتي؟

هزت رأسها إيجابًا، فقبّل جبهتها برقة بالغة وحملها بين يديه ليضعها على الفراش، اتكأ على يده بعد أن جلس بجوارها ينظر نحوها نظرات يملؤها الحب والخوف الشديد، ونظرت هي للفراغ أمامها بشرود ثم سألته بصوت يملؤه الأسى:

- ماذا سنفعل في هذه الكارثة؟

أدار وجهها نحوه بطرف سبابته قائلاً:

- أرجوكِ يا روهان لا أستطيع رؤيتك حزينة هكذا، يوناس لم يعد صغيرًا، هذه هي اختياراته ويجب عليه أن يتحمل توابعها.

جحظت عيناها بذهول من كلماته الهادئة المطمئنة وكأن الأمر لا يعنيه وكأن الذي ذهب للشياطين بقدميه ليس ولده الوحيد!

هناك كارثة حتمية ستعم أرجاء الممالك إن استطاع عزازيل الاطلاع على بعض من التعاويذ التي يحملها يوناس !

رددت بتعجب بالغ:

- ما هذا الهراء الذي تتفوه به يا نعمان؟

أغمض عينيه وصك أسنانه يكتم غضبه ثم أجابها بنبرة تظهر بها الحِدة قليلاً:

- أنا لا أتفوه بهراء يا روهان أنا أقول ما يجب علينا فعله.

اعتدلت في مجلسها وعاد غضبها في الاشتعال:

- اختياراته، ما هذه الخيارات التي تتحدث عنها، ولدنا الوحيد في مملكة عزازيل ويعلم الله وحده ماذا يفعل به الآن!

بضيق وقد أوشك صبره على النفاد يحاول أن يجعلها تفهم الأمر بالمنطق ولكن من الواضح أنها فقدت تعقلها بالكامل، عاد يقترب بوجهه منها قائلاً:

- مستحيل أن يؤذيه يا روهان هو يحتاجه بشدة من أجل الكتاب.

أجابته سريعًا:

- وما يُدريك أن ولدك لن يعطيه محتواه بملء إرادته؟! يوناس مشوش للغاية يا نعمان ولا يستطيع تحديد الصواب من الخطأ بشكل صحيح، لقد فعل كبيرة من الكبائر التي لم يفعلها الجن المسلم على مر آلاف السنين، لا تتجاهل جزءه الإنسي أبدًا.

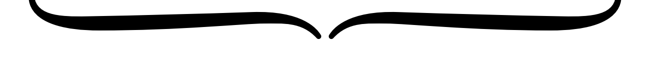
مرر أصابعه في خصلات شعره بتوتر فكلام زوجته منطقي للغاية ولا يستطيع الجزم بعقل يوناس وتربيته لقد فاجأه في السنوات الأخيرة بأفعال لم تكن تخطر على باله أبدًا،

ولكنه يريد أن يطمئنها ويحاول أن يخفف حدة هذا الخبر الأسود على نفسها، هو يعرفها جيدًا ستظل تفكر في الأمر وتحمل نفسها مسؤولية ما حدث إلى أن يصيبها مرض أو هم وهو لن يتحمل ذلك على حبيبته فمازال يحاول التأقلم مع تقدم عمرها بهذا الشكل، توقف عن تفكيره وقرّبها إليه مرة أخرى يحتضنها قائلاً:

- حسناً، لا تقلقي حبيبتي سأعالج الأمر وآتيكِ به في أقرب وقت.

ابتعدت عن أحضانه قائلة بيقين:

- لن تستطيع أن تعيده يا نعمان لأنه هرب بسبب صفعتك، مَن تستطيع إعادته هي واحدة فقط، ومؤكد أنها لن ترفض رجاء خالتها.



الفصل الخامس



وصـل يـونـاس لـمـلكة عـزازيـل بـوجـه مكفهـر مـن الـغضب، ساخطًا وناقمًا على حياته كلها، يشعر بالتخبط والاضطراب والحُنق على ما فعله والده به، تردد في الدخول لمملكة أبو الشياطين، فإن دلف للداخل لا عودة لمملكته ثانية، بدأ يفكر فـي الأمـر مـن زاويـة أخـرى، مـاذا سـيفعل مـعهم؟! وهـل سـيتقبلونـه بـينهم؟! وهـل سيتقبل هـو أعـمالـهم ويـأتـي الـيوم الذي يفعل فعل الشياطين؟!ارتفع الصوت بداخله يؤكد له أنه لو دخل إلى هناك فلا مجال للعودة مرة أخرى، وهنا أتى السؤال الأصعب! هل سيتحمل البعد عن والديه وعشيرته؟!

أجاب على تساؤلاته لنفسه وهو يتقدم بخطواته للأمام: «نعم سأتحمل نتيجة اختياري، لا أحد يفهمني ولا حتى أبواي، وعشائر الجن ينقسمون لثلاثة: جزء يحسدني على ما أنا عليه، والجزء الآخر يعاملني بدونية لأن جزءًا مني ينتمي للإنس ويتمنون لي الفشل، والجزء الأخير قرر أن يتخذ دور الجبان، فهم يخافون مني على أية حال».

نفض رأسه من أفكاره المتتالية، وبتنهيدة قوية أخرج جميعها من عقله ثم استجمع شجاعته ووقف أمام حرس القصر يسألهم بقوة:

- أريد مقابلة عزازيل، اسمحوا لي بالدخول.

نظر الحرس بعضهم لبعض بتعجب وسأله أحدهم:

- ما الذي جاء بسليل ملوك الجان إلى هنا؟ وكيف تجرؤ على نطق اسم السيد بدون ألقاب؟

الجميع يعرف يوناس فهو قوي البنية ولكنه ضعيف الإيمان، لم يعيرهم يوناس اهتمام، وقال بنبرة جعلتهم يرتعدون خوفًا:

- اذهب لسيدك وأخبره أنني أريد مقابلته.

بالفعل امتثل الحارس للأمر، ودلف للداخل يخبر سيده ويا للمفاجأة أجابه عزازيل بأن يدخل الضيف على الفور دون تأخير! وبالفعل ذهب الحارس ليأذن له بالدخول، دلف يوناس داخل المملكة بقلب منقبض وشعور بالغثيان يسيطر عليه من طغيان هذه الرائحة الكريهة التي يتغذون عليها وتعم أرجاء المكان، نظر إلى عرش عزازيل المرتفع فوق الماء بإتقان، لقد أبدع الجن في صنع هذا الصرح المميز بالفعل، ولكنه ما يزيّن عرشه بالفعل وجود حيات كثيرة تلتف هنا وهناك، بعضهم يلتف حول قدمه والبعض الآخر على يديه وكثير منها يزين عرشه الكبير، ولأول مرة يرى يوناس الشيطان الأكبر رأي العين، إنه يختلف كثيرًا عن صورته في خياله، فرأسه كالبعير، وصدره كسنام الجمل الكبير ووجهه كوجه القردة وعيناه مشقوقتان في طول وجهه ومنخاره مفتوح ككوز الحجّام وشفتاه كشفتي الثور وأنيابه كأنياب الخنزير وفي لحيته سبع شعرات، شعر بالنفور الشديد من مظهره، انتبه لتابع الشيطان خلفه يلكزه في كتفه قائلاً:

- اسجد لسيدي وسيدك حتى يتحدث معك.

نظر له يوناس بغضب شديد وأضاءت عيناه باللون الأحمر القاتم وهو يحذر التابع بصوت يحمل في طياته البغض والتقزز:

- لقد خلقه الله من نار وخلقني من نار فلماذا أسجد له؟

ابتلع التابع لسانه وأطلق عزازيل ضحكة مدوية تصدع لها العرش وهو يقول:

- متمرد عنيد، تشبهني كثيرًا يا ابن الإنسية.

رفع يوناس رأسه بكبرياء قائلاً:

- أريد أن أتعلم كيف أسيطر على البشر وأجعلهم يفعلون ما آمرهم به.

ضيّق عزازيل عينيه المخيفتين قائلاً:

- وبماذا ستأمرهم إذًا؟ بالخير أم بالشر؟

رفع يوناس زاوية فمه باستهزاء قائلاً:

- لو كنت أنوي أن آمرهم بالخير فهل ستكون وجهتي مملكتك؟!

أمسك عزازيل بإحدى الحيات بين يديه يعبث بها قائلاً:

- لا أثق بنواياك يا ابن الإنسية.

التفت يوناس يوليه ظهره قائلاً:

- حسنًا إذًا، لقد جاء وقت العودة.

أوقفه عزازيل بصوت جهوري رنان:

- لا أحد يدير ظهره للشيطان الأعظم أيها الجني.

لم تهتز شعرة من يوناس بينما بدأ الحرس بالارتجاف إثر صوته، فالتفت نحوه بهدوء مرة أخرى قائلاً:

- أنت لا تثق بي، وأنا لن أجبرك على شيء.

- لا قيييييس...

أطلقها عزازيل مثل القنبلة الموقوتة فأتت لاقيس في لحظة واحدة وهبطت ساجدة أمامه تحت أنظار يوناس المستهزئة والمشمئزة لما تفعله، لحظات أخرى وأذن لها عزازيل بالوقوف وبنبرة لا تدع مجالاً للشك أمرها:

- خذي هذا الجني من أمامي وعلميه كيفية السيطرة على البشر، وإن أخطأ أو أمر بخير فلا تترددي لحظة واحدة في في قتله.

دلفت إيلينا لغرفتها وأدارت مشغل الموسيقى ورفعت الصوت لأعلى درجة وبدأت في التحدث لساهف بصوت منخفض، طرق والدها باب الغرفة وأمرها بالخروج لتناول الطعام،

لم تعترض هذه المرة لأنها لو رفضت سيظل يطرق بابها كل نصف ساعة، استأذنت ساهف وخرجت تنضم إليهم على الطاولة، حاول عز التحدث معها في أي شيء ولكنها كانت تجيبه بردود مقتضبة رافضة لأي حديث معهم، نعم هي تلومهم على ما حدث لها، لماذا لم يتركوها تخوض التجربة وتعيش مثل خالتها، لقد رأت بأمّ عينيها معاملة نعمان لخالتها، هذا الجني عشقها كما لم يعشقها ويدللها أحد ولا حتى والديها، هي لا تبالي للجنس ولا النوع ولا حتى العِرق هي تريد حب يوناس لها ومن الذي يرفض حبًا كهذا يجعلها تطير في السماء أو تذهب لأي مكان بالعالم في لحظات، ارتفعت زاوية فمها بابتسامة حالمة وهي تتذكر نعمان وهو يدلل خالتها ويشاكسها بمرح وحين تغضب قليلاً يعتذر منها فورًا ويظل يداعبها حتى تختفي ملامح غضبها، لن تنسى أبدًا يوم أن مرضت خالتها فجأة بعد أن شعرت بألم يمزق معدتها نظرات الرعب والذعر في عينيه لن تفارق خيالها مهما عاشت، خرجت من شرودها على صوت والدتها تنبهها وهي تشير نحو طعامها الذي تعبث به بشوكتها:

- لم تأكلي شيئًا من طعامكِ إيلينا.

نظرت لطبقها بشرود وهي تتناول القليل منه بآلية تامة، لحظات وطرق باب البيت الخارجي، قام عز من مقعده يتوجه ناحية الباب ليفتحه، فأصابته صدمة مؤقتة حين وجد روهان ووالدها «محمود» يقف بجوارها تقول له:

- أرجو ألا أكون قد أزعجتكم.

دخلت لاقيس على أبيها بعدما استأذنته في الحديث معه قليلاً، فأذن لها بعد أن قدمت فروض الطاعة، وتبدلت ملامحها للقلق وهي تقول:

- لماذا قبلت أن ينضم يوناس إلينا يا سيدي، أنت تعرف أن هذا الجني خبيث وحتى لو استطعت أن أجعله يفعل فاحشة أو يتسبب في جريمة مرة واحدة، فأنا واثقة من أنه لن يكررها، هذا الجني بداخله كتاب أسرار الجن وهو مسلم موحد كيف سنجعله شيطانًا مثلنا؟! أظن أنه يحاول خداعنا يا سيدي.

بدّل عزازيل جسده بجسد إنسي وأمسك بإحدى الحيات كبيرة الحجم التي تماثله في الطول ووضعها بين كفيه وتركها تلتف سريعًا على يده وجسده وهو يقول:

- هل ترين هذه الحية يا لاقيس وما تفعله الآن؟

هزت لاقيس رأسها إيجابًا وهي لا تفهم مقصده، فأكمل وهو ينظر للحية بخبث ويترك لها جسده بالكامل تعتصره كما تريد:

- هي الآن تظن أنها استطاعت تكبيلي لأنها تمتلك جسدي وكلتا يديّ.

مازالت لاقيس لا تستوعب ما يريد قوله لها، ولكنها تراقب الحية التي أحكمت تقييده من قدميه حتى صدره ولم تترك سوى رقبته، تركها عزازيل حتى تأكدت أنه لم يعد يستطيع إمساكها، ثم اعتلت الحية برأسها وفتحت فمها عن آخره وبفحيح انتصار نظرت بتفحص لعينيه البشرية، كان يُمسك بنصل يُخفيه في كفه المطبق وقبل أن تنقض على رقبته بأنيابها غرز نصله في بطنها يقسمها نصفين في لحظة واحدة، وقعت الحية على الأرض كل جزء منها في جهة، ابتسم عزازيل وعاد لهيئته الحقيقية ليجلس على عرشه قائلاً: هل فهمتي شيئًا يا لاقيس؟

هزت رأسها إيجابًا وهي تبتسم بمكر قائلة:

- نعم يا سيدي فهمت.

احتدمت نظرة يوناس وهو يرى أفعال الشيطان «مطرش» بعدما تركته لاقيس تحت عهدته، فهذا الملعون عمله هو إشاعة الأخبار الكاذبة على لسان بعضٍ من شياطين الإنس، فتشتد الفتنة وتقوم الحروب على إثرها، لقد اتفقوا جميعهم على أن يذهب يوناس إلى كل شيطان ليلة ليرى عمله ويفعل مثله، واليوم الأول كان من نصيب هذا الرجيم، مجلس كبير يجتمع به رؤساء البلاد ووسطهم أحد شياطين الإنس يجلس على رأس المنضدة مبتسمًا ابتسامة تشبه ابتسامة عزازيل إلى حدٍ كبير، ردد يوناس بسخرية:

- ملامح وجهه وما يفكر به يجعله أقبح من عزازيل بمراحل.

اتخذ مطرش موضعه عند رأس كبيرهم يلقنه ما يقول في أذنه اليسرى، مع أن هذا الشيطان المنتمي للإنس لا يحتاج مطرش في شيء فكلماته المسمومة المنمقة تفي بغرضها وتثمر بشكل ملحوظ، تركه مطرش وذهب نحو آخر، وظل هكذا يلف عليهم واحدًا تلو الآخر حتى انتهت جلستهم الخبيثة مثل المتحكم فيها، أثمر هذا الاجتماع اللعين عن قرارات ترضي مطرش وأبيه ويصبح مطرش الليلة المقرب لعزازيل، قرار عن غارة جوية قاتلة لهدم بيوت المسلمين، بالإضافة لإبادة جماعية لمسلمين آخرين في أحد البلدان، سرقة موارد وثروات بلاد بأكملها تحت عين حكامها وعلى مسامعهم، وكل ذلك تحت مسمى آسن يُطلق عليه «مصالح شخصية وأموال طائلة»!

صرخ جانبه الإنساني بوجهه أن يحاول إيقاف هذه الكارثة ولكن هو مكلف فقط بافتعالها وليس وأدها، هو نصف بشري ويشعر بهذا الألم من أجل أرواح البشر التي ستُباد بدون ذنب اقترفته، ولكن من كانوا يخططون لهذه الكوارث هم بشر بالكامل ولكنهم بأرواح شياطين خبيثة لا تفكر إلا في الدمار الشامل واعتلاء أجساد البشر ليصنعوا منها عروشًا يجلسون فوقها برفاهية تامة وكامله!

أخذه مطرش من يديه وانتقل به لمكانٍ آخر تحتدم به الحرب على آخرها، لمحة سريعة تفحّص بها أطلال مدينة يظن أنها كانت مسكونة بالبشر وما زالت مسكونة ولكن ببقايا بشر!

سأله عن وجهتهما فأخبره أنه سيعرف حين يصلان، لحظة أخرى ووقف بداخل مكان تحيط به الأعمدة من كل جانب وتملؤه القذارة عن آخره، تقف في منتصفه مجموعة من الرجال عددهم تسعة، يرتدون معاطف طويلة سوداء وقبعة سوداء، ويضعون فوقها طاليت (شال للصلاة)، ويرسلون ذقونهم إلى صدورهم وتتدلى على آذانهم خصلات من الشعر المقصوع، يرسمون في وسط الأرض نجمة كبيرة يلتفون حولها، وبداخلها رجل منهم يفترش الأرض متربعًا ويتلو تعاويذ يعرفها يوناس جيدًا، تعاويذ لتحضير الشياطين وخاصة مطرش! نظر له مطرش مبتسمًا بانتصار وهو يقول:

- هل رأيت هؤلاء القوم من نفس فصيلة مَن كنا لديهم قبل قليل، لم يكتفوا بالقرارات النارية التي اقترحتها عليهم، دومًا يريدون المزيد.

ثم تركه وذهب إليهم، انتفض الجمع من حضوره ولكنهم سجدوا له طائعين، تفحصهم يوناس وهو يشعر أن قلبه سيتوقف من رؤية هذه الشرور التي لا تنتهي، ظلوا يسألون مطرش ويأخذون مشورته الخبيثة ويهزون رؤوسهم مثل البعير ووجوههم تتزين بملامح خبث تكفي مطرش لأيام قادمة، انتهى اللئيم مطرش من جلسته الشيطانية الخالصة التي لم تخلُ من الدماء والقتل والتفريق بين المسلمين، وأخذ بيد يوناس وانطلق لمكان آخر ليجعله يطبق جزءًا مما تعلمه الليلة منه!

وقف نعمان بالخارج ولم يدخل مع روهان ووالدها لمنزل أختها، لأنه يعلم جيدًا مدى حساسية دانا لوجوده في مكان يجمعهما، كان يريد العودة لمملكته ومباشرة أعماله ولكن شعوره الأبوي طغى عليه فهو يريد سماع موافقة إيلينا بأذنه، شعر بحركة لبشري حوله فحدد مكانه وفي لحظة كان يقف خلفه بمناورة سريعة، التفت غيث ليواجه نعمان وهو يبتسم له قائلاً:

- حاولت مقابلتك من سنوات ولكني لم أستطع، سعيد جدًا بمقابلتك الليلة بني النعمان.

بعد أن انتهت روهان من وصلة بكاء مريرة في أحضان أختها الوحيدة في جلسة خاصة بهما، أخبرتها كل ما تمر به من اضطرابات نفسية وأزمات اجتماعية وعجزها الكامل عن كيفية فهم ولدها الذي استطاعت الشياطين فهم ما يجول في نفسه وهي لم تستطع، تنهدت دانا بأسى وهي تقول:

- أنا مثلكِ تمامًا يا روهان لم أعد أستطيع التفاهم مع إيلينا مطلقًا، لقد رفضت كل تواصل لنا معها ولم تعد تتحدث معنا في أي شيء يخصها سوى الجامعة ودراستها إن احتاجت شيئًا من أبيها.

شعور بالأسف اجتاح قلب روهان بالكامل فهي طالما اعتبرت إيلينا ابنتها هي الأخرى ولكن مشاعر الندم كانت أقوى فتساءلت:

- أعتقد أننا أخطانا بحقهم يا دانا، كان يجب أن تتركي لها القرار.

ضمّت دانا حاجبيها بغضب قائلة:

- روهان هل أنتِ سعيدة بحياتكِ وسط الجان؟ أنسيتي ما مررتِ به بعد ولادة يوناس! ولهذا تريدين مني أن أعيد التجربة مع ابنتي الوحيدة؟

رفعت روهان كفها في وجه دانا لتوقفها عن الاسترسال قائلة:

- حسناً يا دانا، دعينا لا نتشاجر أرجوكِ أنا هنا لأطلب مساعدة إيلينا في إعادة يوناس ولدي.

تنهدت دانا وهي تمسك كف روهان تشد عليها برفق قائلة:

- أنتِ تعلمين أن يوناس مثل إيلينا بالنسبة لي لا فرق عندي بينهما، لذلك لن أعترض، والدها وأنا على يقين تام أنكِ ستعتنين بها على أكمل وجه.

ابتسمت لها روهان بامتنان كبير واحتضنتها وهي تردد:

- لا حرمني الله منكِ يا حبيبتي، فأنا كنت واثقة من أنكِ لن ترديني خائبة.

بعد ترحيب شديد بخالتها وجدها تنهدت براحة وكأن الله استجاب دعاءها وأتيا في الوقت المناسب تمامًا،

اختلت والدتها بخالتها وجلس جدها مع أبيها قليلاً فتسللت من بينهم لتذهب سريعًا لغرفتها تصرف ساهف قبل أن يراه أحد منهم، ولكنها وللمفاجأة لم تجده في الغرفة كما تركته، يبدو أنه رأي بني النعمان أو علم بمجيئه فخرج على الفور، تساءلت بهمس وهي تزم شفتيها:

- ولكن ما الذي يخيفه من نعمان؟

انتفضت على صوت جدها يقول لها:

- من الذي يخاف من زوج خالتك؟

شعرت بالاضطراب ولكنها بالفعل تحتاجه في أمر أهم، أمسكت بيده وجعلته يجلس وجلست أمامه بحزن بالغ، ترقرقت الدموع بعينيها وهي تقص عليه ما حدث وما سمعته من الجني ساهف ثم لم تتحمل أكثر وبدأت في البكاء على صدر جدها بقهر وإذلال، أوقفها جدها يحاول تهدئتها قليلاً، وحين استجابت له قال لها بحكمة وصرامة:

- عديني يا إيلينا بأنكِ لن تتحدثي إلى هذا الجني مرة أخرى.

تعجبت إيلينا من كلماته وبدأ الغضب يزحف نحو قلبها وهي تتأمل جدها الذي يبدو من نظراته أنه جدي للغاية، سألته بنبرة حادة:

- لماذا تريدون مني الانعزال تمامًا عن عالم الجن؟ أريد بشدة أن أفهم هذه النقطة؟

أمسك جدها بكفها يمسد ظاهره بحنان قائلاً:

- أرجوكِ حبيبتي أن تطيعيني ولو لمرةٍ واحدة وأعدكِ أن تفهمي كل شيء في وقته.

هزت إيلينا رأسها بالنفي وهي تردد ما يجول بخاطرها منذ سنوات:

- لا أحد يحاول أن يفهمني أو أن يشرح لي، جميعكم تلقون بالأوامر فقط، وكأنني دمية تحركونها كيفما تشاؤون.

قاطعها محمود بصلابة:

- توقفي إيلينا عن هذا الهراء، نحن جميعًا نحبك ونريدك دائمًا سعيدة وفي أمان.

وقفت إيلينا بغضب وهي تصيح بألم لتخرج كل ما بداخلها، وكأن جدها أخرج المارد من قمقمه:

- لا أحد يحبني، أنتم تعتقدون دائمًا أنكم على صواب، لم يرَني أحدكم سعيدة منذ سنوات وبرغم ذلك تمسكتم بقراركم المتعسف!

ركضت دانا نحو صوت صراخ ابنتها في وجه جدها تتبعها روهان وقبل أن تصفعها على تجاوزها حدود الأدب مع جدها، أمسكت روهان بكفها تنظر لها نظرة تحذيرية، فأنزلت دانا يدها وخطت نحو والدها تحاول ترضيته، وحين التفتت روهان لترى إيلينا فلم تجدها في الغرفة وكأنها تبخرت!



الفصل السادس



«قبل سنوات طويلة»

طلب منه سيده العودة لمنزله وإعطاء أهله مبلغًا من المال يكفي حاجتهم، فهو خادمه الوحيد الذي يثق به وبالطبع لن يبعث جنيًا يعطيهم أموالاً ويتفقد حالهم، ولو فعل هذا ستفقد زوجته عقلها وتسقط بأزمة قلبية!

لا أحد يستطيع التنقل بين العالمين إلا هذا الخدام المخلص الذي علمه إحدى تعاويذه السرية حتى يستطيع الولوج لعالمهم بأمان دون أن يعترض طريقه أحد من الجن!

سلم «إمام» الأمانة لأهلها بعد أن طمأنهم على سيده وعاد أدراجه بالتعويذة السحرية لعالم الجن، قرر ألا يعود لسيده مباشرة وامتلكه الفضول الشديد لاكتشاف هذا العالم الخفي، فمنذ شهور طويلة لم يملك هذا الوقت ليستطلع عالمهم العجيب فهذه فرصة ذهبية وسيده مشغول بوضع خطة للحرب القادمة، انطلق هنا وهناك ينظر بإعجاب شديد لمنازلهم المبنية بإتقان وجمالها الذي يخطف الأنفاس، كل مملكة ولها لون موحد في منازلهم وملابسهم، صرح حين تراه لا يسعك إلا أن تردد، سبحان الخالق العظيم، ظل يتجول حتى وصل لمنطقة بمساحة شاسعة خاوية على عروشها، ضم حاجبيه بتعجب وهمّ أن يعود فسمع صوت شجار صمّ أذنيه البشرية،

اختبأ خلف إحدى الصخور الكبيرة الموضوعة في منتصف الطريق، واختلس النظر فوجد اثنين من المَردة الكبار يتشاجران مع بعضهما البعض على شيء ما!

ويبدو أن هذا الشيء مع أحدهما والآخر يريده بشدة، ظلا يتقاتلان لمدة ليست بقليلة وإمام لا يستطيع الظهور والعودة حتى لا يراه أحدهما، فيقتله، فهؤلاء المردة لا يتهاونون مع أحد من الإنس قط وخاصة المتطفلين على عالمهم، اختض جسده إثر صرخة كبيرة من أحدهم، ووضع كفيه على أذنيه قبل أن يصيبه الصمم من هذا الصوت، اختفى المارد الآخر وبقي المصاب مكانه يلفظ أنفاسه الأخيرة، اجتمع عدد من القوم حوله ونقلوه سريعًا ليطببه أحد الحكماء، انتظر إمام حتى خلا المكان من الجن وتسلل خارج هذه الصخرة ليعود أدراجه سريعًا قبل أن يلمحه أحدهم، سار عائدًا بخطوات سريعة فوجد شيئًا أمام قدميه يلمع بشدة، انحنى يتفحصه فوجده سوارًا عريضًا لا يوجد به شيء ملفت أو غريب، همّ أن يقذفه بعيدًا ولكنه اختض حين وجده يضيء بلون أخضر، وفي لحظتها سمع قدوم نفر من الجن يتحدثون، ركض نحو المملكة عائدًا بأقصى سرعته!

همّ أن يدخل لسيده يخبره بما حدث ولكنه توقف حين رآه يتحدث مع أحد ملوك الجان وغضبه يتصاعد بشكل ملحوظ، أخفى السوار بداخل ملابسه ووقف ينتظر إذن الدخول، دقائق طالت في الانتظار وحين طلبه وجده يسترسل بحديث أصابه بالذعر،

فقد أخبره أن يعود لعالم البشر وأن يرعى زوجته وأولاده لأنه سيذهب مع ملوك الجان في حربهم مع الشياطين ولا يعرف هل سيعود أم سيكون هذا مصيره وآخر لقاء بينهم، ودّعه بحرارة صديق وفيٍّ وأخبره في أذنه عن تعويذته الذهبية لحمايته من الشياطين مع واحدة أخرى إضافية لرؤية الجن، فهو يعلم جيدًا أنه لو وافته المنية ستنتهي هبته في رؤيتهم، ترقرقت الدموع في عين الخادم على فراق سيده وودعه وهو يدعو الله أن يعود من هذه الحرب سالمًا، بعد سنة انقطعت فيها الأخبار عن عالم الجن ولم يستدعه سيده ولا مرة، شعر بالقلق الشديد عليه وهمّ أن يتخذ قرارًا متهورًا في استدعاء أحد الجن بالتعويذة الذهبية، ولكنه توقف حين وجد أحدهم بالفعل يجلس مع أحد أبناء سيده يخبره أن والده توفي في الحرب مع الشياطين وجزاء له على مساعدتهم فلهم جائزتان: الأولى هي رغد العيش، والثانية هبة لسلالته طلبها بنفسه من ملوك الجان، حزن إمام حزنًا شديدًا على سيده وعاهد نفسه أن يظل يحارب الشياطين بما تعلمه منه وسيجعل هذا العهد ساريًا على كل سلالته من الرجال، ولن يترك موت صديقه الوحيد يمر بسلام أبدًا، ولكنه لم يعرف أنه يمتلك قوة أكبر من سيده!

دخل سنجاب على ناصور والسعادة تكاد تتراقص على وجهه، استقبله ناصور بضحكة مجلجلة كالأفاعي وهو يمدحه قائلاً:

- أحسنت يا سنجاب، لقد تخلصنا من إحدى القبائل وأبدناهم عن آخرهم.

جلس سنجاب يرفع رأسه بخيلاء وهو يردد بثقة تامة:

- وأعداد الغيلان والمَردة في ازدياد ملحوظ، فالكل ينضم لنا على وعد أن نأويهم معنا.

صفّق له ناصور بكلتا يديه قائلاً: أخبرني المزيد.

اقترب منه وابتسامته تتسع على وجهه قائلاً:

- لم يعد لدينا سوى القليل ونزحف نحو مملكة الملك ميمون، وقليلاً بعدها ويكون بني النعمان بين يديك، وممالك المسلمين جميعها ستصبح ملكًا للشياطين.

ثم ضيّق عينيه، وبصوت منخفض حتى لا يسمعه أحد قال له:

- ولكني فكرت في شيء أفضل.

سأله ناصور بتعجب: ما هو؟!

نظر سنجاب حوله بترقب، واسترق السمع حتى يتأكد أنه لا حد يتنصت عليهما، ثم بهمس شديد أخبره:

- لقد ذهبت لسيدي وطلبت منه معونة حتى أقوم بغارة على الإنس وأستولي على جزء من الأرض، فليس من العدل أن نكون أضعافهم عددًا وهم يمتلكون الأرض جميعها ويتركون لنا الصحراء والجبال والمزابل نسكن بها.

هز ناصور رأسه بعدم فهم قائلاً:

- ولماذا تهمس هكذا؟! فأنا لا أظن أن سيدي سوف يعترض على هذا الاقتراح.

تأفف سنجاب بضيق قائلاً:

- لقد اعترض بالفعل وقال يكفينا مملكتنا، والحرب الماضية التي خسرنا فيها أمام البشر، ولن يتحمل خسارة أخرى.

سأله ناصور وهو يعلم جيدًا أن سنجاب شيطان لعين يكره البشر أكثر من أي شيطان آخر وطالما وضعهم في رأسه ولن يتوانى عن أذيتهم:

- لن نستطيع الهجوم على الإنس دون إذن عزازيل ومساعدته هو وأبنائه يا سنجاب، فهم الفئة القليلة الخالدة فينا.

زفر سنجاب بغضب، وهو ينظر له بخبث قائلاً:

- كنت على أمل أن تساعدني.

ثم أحاطه بذراعه وأمسك بذراعين آخرين عظمة كبير ثم اقترب من أذنه قائلاً وهو يقسم العظمة لنصفين:

- سنكسر شوكتهم هكذا، فأنت تعرف البشر جيدًا، ضعفاء وجهلاء والجُبن صفتهم الأساسية، ولم يعد بينهم بطل قوي مثل (مهلاييل) حتى نخشاه.

أنار عقل ناصور بالفكرة ولاقت القبول في نفسه ولكنه تردد قليلاً:

- لو علم عزازيل أننا عصيناه سيقتلنا يا سنجاب.

جلس سنجاب مرة أخرى أمامه وهو يطمئنه:

- لا تقلق لن يعرف شيئًا إلا بعد نصرنا، ووقتها صدقني سوف نكون من المقربين إليه.

ثم تذكر شيئًا هامًا فسأله:

- أخبرتني سابقًا أن هناك جاسوس في ممالك الجن يتقصى الأخبار، ولم تخبرني من وقتها عن أمره شيئًا؟

أجابه ناصور وهو يرفع زاوية فمه بانتصار:

- هو بخير تمامًا ويُبلي بلاءً حسنًا، لا تقلق فقريبًا سوف تسمع أخبارًا سارة.

بعد أن أخبره غيث أنه رأي أحد الجان يهرب سريعًا من البيت عند وصوله هو وزوجته وأبيها، فكّر نعمان قليلاً واستنتج أنه لا أحد في هذا المنزل له علاقة بالجن سوى «إيلينا».

دلف للداخل حتى يتكلم معها فوجد شجارها مع جدها ودخول دانا تصيح بها، ومن خلفها زوجته، قرر أن يُنهي هذا الشجار وأخذ إيلينا للخارج في لحظة واحدة قبل أن يشعر به أحد، لم تستوعب الأمر سوى وهي بداخل سيارة لا تعرفها تقف أمام منزلها، نظرت حولها بذعر فوجدت نعمان يجلس بجوارها وفي المقعد الأمامي يجلس شخص لم تره من قبل ينظر لها عبر المرآة، تساءلت ونبرتها لم تخلُ من الخوف وما زال الغضب يَلُوح على وجهها:

- ماذا تريد مني؟! ومَن هذا الرجل؟

ابتسم نعمان لها بود وهو يجيبها:

- لا تقلقي إيلينا أردت أن أتحدث معكِ قليلاً بعيدًا عن العائلة، وهذا الرجل يُسمى غيث وعنده معلومات تهمك كثيرًا، ولكن دعيني أولاً أسألكِ بضعة أسئلة وأرجو أن تجيبيني بصراحة تامة، أومأت برأسها إيجابًا فأكمل نعمان:

- هل قابلتِ أحدًا من الجن مؤخرًا؟

تأففت إيلينا، وقبل أن تصرخ في وجهه غاضبة أدركت أنها أمام بني النعمان ملك الجان القادم وقائد جيوش المسلمين منهم، تنحنحت ونظرت لعينيه التي بدأت تومض بشكل طفيف مما جعلها تبتسم متناسية سؤاله وتسأله هي:

- لماذا تنظر نحوي هكذا؟

ضم نعمان حاجبيه وكتم ابتسامته، يبدو أن ما يفكر به ظهر جليًا على وجهه، فأجابها مشاكسًا:

- لا شيء سوى أنكِ أصبحتِ تشبيهن خالتك كثيرًا.

تحولت نظرتها للسعادة الغامرة على هذا الإطراء ثم أجابته:

- نعم قابلت أحدهم.

ثم رفعت سبابتها تلوح بها نفيًا وتكمل:

- لا لم أقابله لقد كان يراقبني أولاً ثم عدت للمنزل فوجدته يجلس في حجرتي ينتظرني.

التفت غيث بوجهه نحوها يسألها سريعًا:

- هل تعرفين اسمه؟

تلكأت قليلاً قبل أن تجيبه، ونظرت لنعمان فهز رأسه إيجابًا يشجعها أن تجيب غيث، استجابت له وقالت:

- أخبرني أن اسمه ساهف وهو من الجن المسلم.

نظر غيث نحو نعمان نظرة استفهام فقال له:

- نعم أعرفه فهو من قبيلة الميامين، وهو مسلم بالفعل، ولكن السؤال المهم هنا لماذا هرب فور رؤيتي؟!

نظر له غيث نظرة ذات معنى متسائلاً:

- لا بني النعمان، السؤال الأهم هل يعرف عن إيلينا ما أخبرتك به؟

رفع نعمان كتفه قائلاً:

- لا أعرف حقيقة الأمر، ولكن قريبًا سوف نكتشف كل شيء، ولكن علينا أولاً أن نصحبك أنت وإيلينا معنا للمملكة كما اتفقنا.

أجابه غيث:

- حسنًا سأذهب معك.

أوقفتهما إيلينا بتعجب:

- تصحبني لعالم الجن؟!

قال لها نعمان بحذر:

- ألم تخبركِ خالتكِ بالأمر بعد؟!

هزت رأسها نفيًا، فأكمل:

- لقد فشلنا في أن نعيد يوناس من عالم الشياطين، وأبي والملوك مصرون على معاقبته جراء ما فعل إن لم يعد باختياره ويطلب السماح منهم، وأنتِ لا تعرفين عقاب الجن للعصاة يا إيلينا، وروهان لن تتحمل أن تراه مسجونًا معذبًا مدى الحياة!

انقبض قلبها في صدرها وشعرت بالأسى والأسف لأجله ولكنها مازالت غاضبة منه هذا الخائن اللعين فسألته:

- وماذا يجب أن أفعل يا عمي؟

تنهد قائلاً:

- ستفعلين الكثير يا إيلينا لا تستهيني أبدًا بقوتك، ولكني لن أستطيع إخباركِ بأي شيء هنا، هيا بنا أولاً وبعدها سأجيبكِ على كل تساؤلاتك.

هزت رأسها إيجابًا فأثنى عليها قائلاً:

- أحسنتِ يا ابنتي.

ثم ابتسم بدهشة مرددًا :

- هذه العائلة تبهرني كما لم يفعل أحد في حياتي كلها!

ثم أمسك بيدها يعود بها للداخل وهو يقول:

- ستقتلني خالتك الآن أنا واثق من ذلك، لقد استدعتني في هذه الدقائق أكثر من عشر مرات.

ضحكت إيلينا بحبور ولكنها توقفت حين سمعت بكاء أمها المرير، وخالتها تردد نعمان بشكل هستري، أما عن والدها وجدها فيقطعان البيت كله ذهابًا وإيابًا.

توقف الجميع حين رأوها تقف وسط البهو تنظر لهم بتعجب، ركضت دانا وأبوها نحوها بينما وقفت روهان تطلق الشرر من عينيها على نعمان، وتوقف محمود ينظر له مبتسمًا ويهز رأسه وهو يستنتج ما حدث، لم تتوقف دانا وعز عن احتضانها وكأنها اختطفت منذ سنوات وليست مجرد دقائق كانت بها خارج المنزل، اقترب نعمان من روهان يهمس في أذنها بعبث:

- هذه الفتاة تشبهك كثيرًا.

زمجرت روهان بصوت يعرفه جيدًا ومعناه أنها ستنفجر به غضبًا على ما فعله، كتم ضحكته بشق الأنفس وأكمل همسه:

- لا تغضبي مني حبيبتي لقد أخذتها حتى لا تقتل والدكِ بالسكتة القلبية.

التفتت نحوه ثم زجرته بنظرة تحذيرية فرفع كفيه أمامها وهو يهز حاجبيه بمرح، اقتربت روهان منه وهي تضيّق عينيها وترفع سبابتها في وجهه قائلة:

- أنت تعلم جيدًا أنني أحفظك عن ظهر قلب وهذا الاختفاء المفاجئ خلفه كارثة كبرى وهزلك هذا لا يجدي نفعًا يا نعمان، فلو علمت أن ما يحدث هو مجرد مكيدة من مكائدك، سألقي عليك تعويذة في نومك تقتلك في الحال.

تجعد وجهه بغضب مصطنع وزمّ شفتيه قائلاً:

- قاسية وذات قلب متحجر.

صكت أسنانها بغيظ وهي تطلق صرخة مكتومة، ستصاب بالجنون يومًا من أثر مزاحه المبالغ فيه معها،

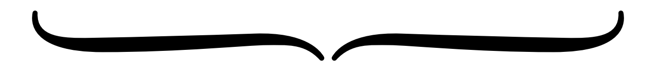
التفتت نحو إيلينا وأختها اللتان دخلتا الغرفة لتتحدثا قليلاً قبل أن تغادر، تتبعتهما وتركته خلفها يضحك بهستيريا حتى اختفت من أمامه.

خطا محمود نحوه وهو يمعن به النظر ثم قال له:

- ما الذي تخفيه يا ابن ملك الجان؟!

أمسك نعمان بكفه وهو ينظر حوله يتأكد من أن الجميع ذهبوا للداخل ثم قال له بهمس:

- تعال معي للخارج أريدك في أمرٍ هام قبل أن تنتهي روهان وإيلينا.



الفصل السابع

وقفت بجوار نافذة البيت الداخلية تخرج رأسها كاملة تسترق السمع وتحاول بأقصى جهدها أن تعرف ماذا يفعلون الآن! لا شيء يلفت النظر، لا شجار، لا صياح ولا حركة غريبة، خرجت ابنتها من الغرفة لتجد والدتها تلتصق بالنافذة وتكاد تسقط منها وهي تحاول بكل حواسها أن تعرف ما يدور في الأعلى، انتبهت كل حواس الأم وهي تسمع ضحكة مجلجلة تصدّع لها المنزل، شعرت بالنيران تنفجر بصدرها حتى تصاعدت لوجهها ثم التفتت بحدة فوجدت ابنتها تقف خلفها، أخذت بيدها وجرّتها وراءها وتجاهلت تمامًا تساؤلاتها عن ماذا يحدث؟! لم تعرها اهتمامًا وانطلقت على الدرج مثل الطفل الصغير الذي أهداه والداه لعبة تمناها وظل يطلبها لشهور كثيرة، طرقت الباب عدة طرقات فلم يجبها أحدهم، صكت أسنانها وبدأت تزفر بغضب وتطرقه مرة أخرى بشكل أعنف أجابها ولدها من الداخل:

- من الطارق؟

تنحنحت لتجلي صوتها ثم قالت:

- أنا والدتك حبيبي ومعي أختك هنا.

تهللت أساريره بحب وفتح الباب سريعًا وهو يقبّل يدها طاعة، دلفت للداخل وعيناها تدور في الشقة مثل كاميرا الفوتوغرافيا، تبحث عنها في كل ركن كمن يبحث عن ضالته،

خرجت الفتاة على استحياء من غرفتها بابتسامة خجلة ووجه محمر ترتدي عباءة تكسوها بلون أبيض تملؤها النقوش المبهرة جعلتها تبدو كأميرة من زمن بعيد، حين رأتها تخطو نحوها نظرت لولدها الذي يبادل زوجته ابتسامة يملؤها العشق وكأنه يراها للمرة الأولى، ولم يمر على زواجهما ثلاث سنوات أنجبا خلالها فتاة تشبه أمها للأسف، رددتها في سرها وهي تجعد فمها بتقزز، رفعت زاوية فمها باشمئزاز وهنا انطلق «داسم» يقف على يسارها، وصلت الفتاة لمقعدها بابتسامة ود واحترام مدت لها يدها، رفعت رأسها نحوها وعلامات النفور تحتل ملامحها ثم بكل حقارة أدارت وجهها باتجاه آخر، شعرت الفتاة بأن أحدهم قذف في وجهها كرة نار فأشعلت جسدها بأكمله، سمعت صوت فتاتها الرضيعة فعادت لغرفتها وشعور بالقهر والظلم يجتاح جوارحها، وهنا أسرع داسم يقف على جانبها الأيسر يوسوس لها وهي تعيد كل مواقفها معها، منذ أول يوم زواج وهي تتغاضى عن كل أفعالها الحمقاء التي تدل على كرهها الشديد لها وكأنها فعلت فحشاء ومنكرًا يجب معاقبتها عليه طوال حياتها لأنها تهورت ووافقت على الزواج من ابنها، وهي ظلت لسنوات كالبلهاء تردد:

- هي بمثابة أمي ويجب عليّ أن أتحملها.

استعاذت بالله واستغفرت بضيق، فخرج داسم بأقصى سرعة، للخارج نحو الأخرى،

مرت لحظات وصوتها ارتفع عن المعتاد وهي تلفظ من فمها سبابًا على الفتاة المسكينة وعلى طريقة ضحكتها الرقيعة وكأنها تسكن في المنزل بمفردها؟ وأخذت تشير لابنتها قائلة:

- هذه فتاة عذراء لم تتزوج بعد، هل يجب عليها أن تستمع لتلك الوقاحة من زوجتك، لقد فاض كيلي بني ولم أتحدث في هذا الأمر من قبل خشية أن تغضب مني.

ثم بحركة مسرحية لقنها إياها داسم، قامت من مجلسها تحني رأسها بحزن بالغ وترقرقت في عينيها دموع مزيفة حاولت إخراجها بصعوبة ولكنها لم تفلح! اقترب ولدها منها يقبل رأسها ويدها ويعتذر منها على فعلة زوجته الشنيعة وكيف تدير ظهرها لوالدته وهي لم تتحدث إلا بما هو لائق، رققت صوتها البغيض وبنبرة أسى قالت:

- أريد رؤية حفيدتي الجميلة يا ولدي قبل أن أعود لشقتي.

فورًا انطلق للداخل وخلفه داسم يقوم بعمله على أكمل وجه، بنبرة تحذيرية وعينين تطلقان الشرر قال لها:

- اعطني ابنتي، أمي تريد رؤيتها.

انطلق داسم خلفها، فصكت أسنانها بغيظ وبدأ غضبها يتصاعد حتى وصل لقمة رأسها مما جعلها تجيبه بشراسة:

- لماذا تريد ابنتي، ألم تسبني منذ قليل في بيتي؟!

أعاد طلبه بنبرة أقوى وهو في قمة سخطه، لكنها أصرت على عنادها وبدأت تصيح به بصوت أعلى، وكل ذلك تحت ابتسامات داسم المستمتعة، فهو يلعب بقلوبهم مثل القط وهو يتمسك بكرة من صوف، لحظات واحتدم الصراع وبدأ الزوج في لكم زوجته بقوة وغضب شديدين وهو يسبها ويلعنها بأبشع الصفات، وهي تصيح وتصرخ بأعلى صوتها من الألم، ثوانٍ معدودة وانتهى الأمر بوقوف أمه خلفه تلقنه كلمة النصر:

- أنتِ طالق ولا أريد رؤية وجهك القبيح مرة أخرى.

وقف داسم بمشاعر نصر وهو يتقافز فرحًا ويصفق لنفسه بسعادة بالغة، وبجواره يقف يوناس الذي ابتسم له باشمئزاز وهز رأسه بقلة حيلة على هؤلاء البشر الأغبياء، صفق له ثناءً على ما فعله فقد حضر كل لحظة من هذه اللحظات الثمينة وسجلها في ذاكرته لحين موعد الاختبار وتجربته بنفسه!

انطلق نعمان مع غيث وروهان وإيلينا لمملكتهم بعد أن عاد محمود للبيت وهو شارد الذهن يفكر جيدًا فيما أخبره به نعمان، عاد بذاكرته للخلف فلم يتذكر تفاصيل كثيرة عما حدث، ولكنه ولحسن حظه قد دوّن الأحداث والمعلومات الهامة في مفكرته على أمل إن وافته المنية يقرأها أحفاده ويعرفون تاريخ عائلتهم المشرف، ويطلعون على أسرار ومعلومات خاصة عن عالم الجن تفيدهم فيما بعد،

بالإضافة لبعض التعاويذ التي لم تدوّن في كتاب أسرار الجن أخبره بها خادم جده الأمين الذي يُسمى «إمام» ولكنه اختفى في ظروفٍ غامضة وإلى الآن لم يعرف أحد شيئًا عنه، ردد محمود بتجهم:

- مؤكد لقى حتفه منذ زمن بعيد!

حرر صندوق ذكرياته القديمة من مخبئه وأخرج منه دفتره المسجل به كل المعلومات الهامة والضرورية، جرت عيناه على الكلمات بسرعة فائقة حتى وصل لمراده فابتسم بسعادة بالغة وهو يردد:

- سوف يشعر نعمان ببهجة كبيرة.

دلفت إيلينا وغيث لعالم الجن يتأملونه بانبهار ورهبة شديدة، وبرغم قوة غيث وتعامله المستمر مع الشياطين إلا أن مملكة الجان المسلم قمة في الغرابة والروعة والوجل في آن واحد، أدخلهم نعمان لقصره وأخذ معه غيث بينما اصطحبت روهان إيلينا لتدخلها غرفتها الخاصة وهي تشعر بالحزن الشديد على ولدها، فقد كان دومًا يتمنى أن تأتي إيلينا لزيارتهم ولو قليلاً، وكانت دانا ترفض دائمًا، وحين هرب يوناس لهلاكه قررت دانا الموافقة! نفضت أفكارها السلبية من رأسها، لن ينفع البكاء الآن يجب أن تتحلى بالصبر وتحاول أن تجعل ولدها يعود إليها تائبًا من ذنبه، جلست إيلينا على الفراش الوثير وما زالت تلتفت هنا وهناك تنظر بدهشة لكل شيء حولها،

اقتربت روهان منها تمسك بكلتا يديها قائلة:

- أنا أعرف جيدًا مدى حبكِ له يا إيلينا، ولهذا يجب أن نجبره ليعود حبيبتي.

ابتسمت لها إيلينا بحب فهي بالفعل تشبهها كثيرًا وتفهم خلجاتها أكثر من أمها التي تقطن معها، تنهدت بألم وهي تنظر للمرآة قبالتها قائلة:

- يوناس لم يعد يحبني يا خالتي، لقد عرفت بأمر فتياته العديدات وعلاقاته معهن.

شعرت روهان بالخجل من أفعال ولدها الحمقاء، وللحظات وضعت نفسها مكان إيلينا لو فعلها نعمان لكانت قتلته بدم بارد، شدت على كفها برقة قائلة:

- يوناس مضطرب للغاية عزيزتي لا تعوّلي على أفعاله، فأنا ما عدت أفهمه قط، لقد صدمني في كل ما يفعل، وكأنه تحوّل لشخص آخر لم ألده يومًا وأحفظه مثل كف يدي.

اعتصر قلبها ألمًا على خالتها الحبيبة ونظراتها الحزينة وملامحها المشتتة المذعورة حد الموت على ابنها الوحيد، دنت إيلينا منها رأفة على حالها ووضعت كفها على وجنتها قائلة:

- لا تقلقي حبيبتي سيعود.

ثم فجأة سمعت إيلينا صوتًا يصدح من بعيد وكأنه بداخل صندوق كبير مغلق بإحكام، وقفت تتبع صدى الصوت فابتسمت روهان بإعجاب قائلة:

- هذه هي «صفوة بنت قصورة» تعمل في مفاوضات الحروب، قطّبت إيلينا حاجبيها فأكملت روهان هامسة:

- إنها بارعة للغاية، سمعت أنها تستطيع إقناع أي جني أو شيطان بما تريده.

ثم أكملت بحماس:

- بالإضافة إلى أنها تعزف على آلة موسيقية لا أعرف اسمها، ولكنها تعزف مقطوعات رائعة جدًا لم أسمعها من قبل في عالمنا.

رددت إيلينا بانشداه وهي تخطو نحو الصوت مثل المسحورة:

- الفلوت!

ضمت روهان حاجبيها لا تعرف عم تتحدث، فسألتها:

- ماذا تعني بهذا الاسم؟

أجابتها إيلينا وهي تسترق السمع عبر الجدران السميكة:

- آلة موسيقية تسمى الفلوت يا خالتي، ولكن هذه صوتها مختلف عن آلتنا، رغم أن النغمات متشابهة لدرجة كبيرة، ثم لمعت عيناها بسعادة بالغة وهي تترك الجدران وتمسك بيد روهان تقفز قائلة:

- أريد أن أتعرف عليها يا خالتي أرجوكِ، فهي ماهرة للغاية، أرجوكِ خالتي.

وظلت ترددها بتوسل حتى ضحكت روهان بشدة قائلة:

- اهدئي حبيبتي حتى أشرح لك الأمر.

توقفت إيلينا

❞ تستمع لروهان فأكملت الأخيرة:

- والد صفوة شديد للغاية ويخاف عليها حد الرعب بسبب عملها كمفاوضة ويحرّم عليها أيضًا المعازف ولكنها تخفي منه تلك الآلة الصغيرة وتعزف عليها في النهار فقط قبل غروب الشمس، لأن هذا الوقت يكون والدها خارج المنزل للعمل، فهو يعمل بَنّاءً.

قطبت إيلينا حاجبيها بأسى فعاجلتها روهان قائلة:

- حسنًا حسنًا، لا تغضبي سأتحدث مع نعمان بالأمر وأجعله يأمر والدها أن يتركها تجلس معنا فترة الصباح وتعود في المساء لمنزلها.

صفقت إيلينا بمرح وقبّلت وجنتي خالتها وهي تشكرها على صنيعها، فهذه الفتاة كنز كبير لا يعلم قيمته سواها!

خرج غيث من غرفته بعد أن تركه نعمان وأكد عليه أن لا يلفت الأنظار إليه الآن، ولتفادي ذلك ممنوع أن يتحرك خارج أسوار هذه المملكة وممنوع عليه الاقتراب من روهان أبدًا حتى يرحل من هنا، لقد سمح له بعدة ساعات يتفحص فيها المملكة، تفحص أرجاء القصر بإمعان والابتسامة لا تفارق شفتيه من الإعجاب، ولحسن حظه أن روهان منشغلة مع ابنة اختها، ترجل من القصر الكبير يمعن النظر في كل ما يقابله من مبانٍ مبهرة وأناس من الجن يمشون في المملكة بأريحية ويتفحصون وجهه بتعجب ولكن لا يجرؤ أحدهم أن يسأله عن هويته فهو جاء للمملكة بصحبة بني النعمان وهذا يكفي، دقق في كل ما حوله فهذه المملكة تشبه إلى حد كبير عالم الإنس مع اختلاف طبائعهم لا أكثر، حياة طبيعية ورتيبة لدرجة مرعبة، شوارع كبيرة ومبانٍ ضخمة وأماكن كثيرة للبيع، ضيّق عينيه وهو ينظر من بعيدٍ على سوق كبير، ردد بدهشة وكأنه لم يستوعب بعد:

- لحظة واحدة هذا سوق بضائع؟!

سمع صوتًا من خلفه يُقهقِه بمرح قائلاً:

- كنت تظن أننا نأكل ونشرب ونطعم الدواب من بقاياكم؟! لقد مر زمن طويل يا رجل كنا فيه نقترض من بقايا طعامك.

التفت غيث نحوه ببشاشة يقول له:

- مازالت الشياطين تقترض منا يا أخي.

تبدلت ملامحه وقال بتجهم:

- استعذ بالله، فهؤلاء الملاعين نجس، أتشبّهنا بهم؟

رفع غيث يده سريعًا:

- حاشا لله يا أخي، بارك الله فيكم.

ابتسم له الرجل بود وتركه وذهب نحو السوق الكبير، أكمل غيث سيره حتى سمع خرير الماء يأتي من مكان ما، مضى نحوه حتى توقف عند بحيرة خطفت أنفاسه من جمال صنعها، جلس بالقرب منها لوقت طويل ثم استدعاه حين لمح إيلينا قادمة ثم ردد بهمس:

- لقد آن أوان العودة!

بعد توسلات عديدة أن تتركها تتفحص المملكة، وافقت روهان على مضض وهي تحذرها ألا تتحدث إلى أحد وإن شعرت بخطر ما تستدعي نعمان وسوف يأتي لها على الفور، انطلقت إيلينا وهي تشعر بسعادة تغمرها من هذه التجربة الجديدة والعالم المختلف، ابتهجت روهان لرؤيتها هكذا منشرحة ومنطلقة، فمنذ سنوات لم تكن إيلينا بهذا الارتياح،

سارت خارج أسوار القصر الكبير وعيناها تدور بكل اتجاه بانشراح وغبطة غير مسبوقة، توقفت على صوت يناديها من خلفها تعرفه جيدًا ولكنها لم تتوقع أبدًا أن تراه في أول ساعة من حضورها لعالم الجن! التفتت نحوه بحياء قائلة:

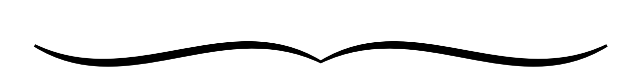
- مرحبًا يا ساهف.

احمر وجهه وتلونت عيناه للأزرق القاتم فعرفت على الفور أنه سينفجر بها، حاولت أن تهدئ من روعه بكلمات اعتذار واهية على أنها لم تخبره حقيقة أمرها ولكنه لم يلتفت لحديثها وهو يشعر أنها خدعته بشكل ما وهو كالأبله لم يصر على سؤالها كيف لها أن تراه، لكنه لن يتركها الآن حتى يعرف عنها كل شيء فهي مدينة له بالشرح، لم تعترض على اصطحابه لها في مكانٍ منعزلٍ نسبيًا، وانهال عليها بالأسئلة المعتادة:

- من أنتِ ؟ ومَن الذي جاء بكِ إلى هنا؟ ولماذا جئتِ؟

أجابته علي أسئلته جميعًا بكل صدق، ولكن شعوره بأنها غشته جعله يختنق أكثر وأكثر، لن ينسى أنها استدرجته في الحديث لتعرف معلومات عن ابن خالتها وحبيبها التي أبعدته أمها عنه، ألهذه الدرجة تحتال عليه إنسية عمرها لا يتجاوز جزءًا في المئة من عمره؟ يا له من مغفل! انتفضت على صوت غيث يأتيهم من خلفهم قائلًا:

لم تمر ساعات على وجودكِ في عالم الجن إيلينا واتخذت صحبة منهم على الفور حتى أنه جاء بكِ لمكان منعزل، يا لكِ من فتاة مبهرة بحق!



الفصل الثامن

عاد نعمان لقصره يطمئن على أحوالهم، فوجد روهان تجلس على أريكتها الخاصة بها، ابتسم وهو يتذكر هذه الأريكة لقد أصرّت على أن يأتي بها من منزل الشاطئ الذي اصطحبها إليه يوم مشاجرته مع زمردة وإغمائها من الفزع! انتفض قلبه بعشق وهو يتذكر وجهها الجميل المنبهر بمنظر البحر أمامها، لمعت فكرة برأسه فحرك حاجبيه بمرح وانطلق نحوها، أغلقت عينيها كردة فعل تلقائية، ولكنها لم تعد تنتفض من ظهوره الفجائي، فهي تعيش في مملكتهم منذ سنوات كثيرة وجميعهم على هذا الحال يختفون فجأة ويظهرون فجأة ولا أحد منهم يراعي جنسها! لمحت نظراته المشاكسة تلوح على وجهه وهو يحرك حاجبيه صعودًا وهبوطًا، ابتسمت إليه وهي تهز رأسها وتردد:

- لا فائدة منك، لا أفهم العلاقة الحقيقية بين الكوارث واشتعال حس الدعابة والمزاح لديك؟

اقترب منها يقبّل وجنتها ويهمس لها:

- أنتِ سبب اشتعالي يا روهان.

وكعادته يثير حواسها بكلماته الغزلية، وجدته يلف يديه حولها ويضمها بشدة، وقبل أن تدرك الأمر وجدت نفسها على الأرجوحة المعلقة وسط النهر، في «جزيرة كافو»، لم يسعها إلا أن تبتسم بسعادة ورائحة المياه المالحة تداعب أنفها، وصوت البحر الهادئ جعلها تفتح عينيها ببطء تتأمل صنع الله،

لم تأتِ إلى هنا منذ زمن بعيد وما زال كل شيء على حاله لقد حرس نعمان أن يظل كل شيء ثابتًا، نظرت نحو وشاحها الصوفي، مازال معقودًا على طرف الأرجوحة لم يحركه نعمان من المرة الأخيرة، شعرت بالارتياح الذي لم يدم سوى لحظات تبعتها حرقة في حلقها زحفت نحو قلبها المكلوم من فراق ولدها الحبيب، لقد مرت ليالٍ طويلة تحاول استدعاءه ولكنه لم يُجبها قط، تجمعت الدموع في عينيها تأبى أن تسقط فهي لا تريد أن تحمل زوجها أقصى ما يتحمل، يكفيه حربه مع الشياطين التي لم تنتهِ يومًا، أمسك نعمان كفها برقة يلثم باطنه وهو ينظر لعمق عينيها بعشق، حاول طرد فكرة سيئة راودت عقله، وسؤال يتردد على ذهنه يقض مضجعه:

- ماذا ستفعل حين تعرف؟

نفض رأسه من أفكاره السوداء ثم دنا منها وضمها في أحضانه، شدد من احتضانها وهو يهمس لها:

- إياكِ أن تبكي.

حاولت كتم دموعها عنوة فهي تعرف جيدًا كم يكره دموعها وحزنها، شعرت برجفة خفيفة تسري في جسده فعرفت أن هناك خطبًا ما، ولكنها تخطت الأمر حين وجدته لا يبعدها عن أحضانه وأكمل همسه:

- سيكون كل شيء على ما يرام، أعدكِ.

ثم قبّل جانب عنقها برقة بالغة جعلتها تغمض عينيها للحظات كانت بها قد وصلت لقصرها في مملكة الجان، فتحت عينيها وهي تنظر حولها بتعجب:

- لقد اختفى كعادته!

زفرت بضيق فوجدته خلفها يطبع قبلة على وجنتها وهو يحاول أن يتصنع ضحكة بالكاد وصلتها وهو يقول:

- لا أعرف متى سأعود ولكني لن أغيب كثيرًا.

ثم اقترب، وقال بهمس شديد:

- أرجوكِ روهان لا تقترفي أي فعل أحمق.

لم تفهم مغزى كلامه ولكنها حين التفتت تواجهه وجدته قد اختفى!

- يا إلهي ما الذي يحدث مع هذا الرجل؟!

لم يكن يومًا بهذا الغموض؟! هناك شيء خطير يحدث، ارتجافة جسده وأنا في أحضانه لا تدل على خير أبدًا! كل هذه الأسئلة توالت على عقلها وكانت إجابتها واحدة:

- يجب أن أكتشف الأمر بطريقة مشروعة أو بأخرى غير مشروعة، ولا يوجد من هي أصدق وأوفى منها.

ثم بصوت شديد مرتفع نادت:

- زمردة، احضري في الحال.

ابتسمت ابتسامة حاولت أن تخفيها قدر المستطاع وهي توجه حديثها نحو غيث الواقف بعينين محمرتين:

- ساهف صديقي من فترة قصيرة والتقينا هنا صدفة.

بادله ساهف نظرات البُغض ثم سأله وهو يرمقه بنظرة اشمئزاز:

- ومن أنت أيها الإنسي؟! وما الذي جاء بك إلى هنا؟

أجابه غيث بابتسامة ساخرة وهو يقترب نحوه:

- هذا ليس من شأنك أيها الجني.

وقفت إيلينا في منتصفهما وهي تمد كفيها وتنظر نحو غيث بتحذير قائلة:

- يكفي هذا!

ثم التفتت نحو ساهف:

- انصرف الآن يا ساهف أرجوك وإن احتجتك سوف أستدعيك.

ثم اقتربت نحوه بنظرة رجاء قائلة:

- أتمنى أن تتفهم ما أخبرتك به وتسامحني.

شعر بلذة انتصار على الإنسي وهي تترجاه أن يسامحها، رفع زاوية فمه بابتسامة طفيفة أهداها لغيث الواقف خلف إيلينا، ينفث النار من أذنيه، اقترب منها أكثر ثم انحنى نحو أذنها قائلاً:

- لقد سامحتك يا إيلينا، وسعدت برؤيتكِ هنا كثيرًا.

ابتعد عنها وهو يغمز لها بعينه، ويرفع صوته حتى يسمعه غيث:

- لنا لقاء آخر قريبًا يا إيلينا، ولكن المرة القادمة سآخذكِ لمكان خالٍ من المتطفلين.

ثم اختفى من أمام غيث الذي رمقه بنظرةٍ مفادها سأقتلك حتمًا يومًا ما! اقتربت منه بغضب وهي تسأله:

- لا أفهم! هل تتبعني يا غيث؟

صك أسنانه بغيظ قائلاً:

- لو انتظر قليلاً لقتلته.

شهقت إيلينا وهي تقترب منه ثم ضمت حاجبيها بتعجب والتفتت يمينًا ويسارًا للتأكد من عدم وجود أحد حولهما، ثم بصوت منخفض قالت له:

- أجننت يا غيث! لماذا تريد قتله؟

أمسك مرفقها وهو يقربها نحوه ثم صك أسنانه بغضب قائلاً:

- أنتِ لا تعرفين فيما كان يفكر بكِ هذا النجس.

وضعت كفها على فمها بصدمة واضحة ولم تجد كلمات تصف ما تشعر به، نظرات انجذاب حارة جعلت اتصالهما يدوم للحظات، ترك غيث مرفقها وهو يعتذر لها، ابتعدت عنه وهي تشعر بخطر من قربه لم تشعر به نحو أحد قط ولا حتى يوناس!

نفضت أفكارها بعيدًا جدًا عنها، بينما جلس غيث على أحد الأحجار يشعر بالتخبط، وهو يفكر في ما آل إليه حاله، لقد عاهده أن يقتل كل شيطان يقابله إلى أن تصعد روحه لخالقها وهو سيفعل ذلك حتمًا، فهذا عهد أبدي كتب عليه كما كتب على سلالة عائلته بأجمعها من الرجال، ولكنه الآن هل يجب عليه النكاح حتى يُنجب من سيتسلم إرثه بعده، كما أخبره وأنه يجب أن تكون إنسية، ابتسم حين نظر نحو إيلينا الشاردة فردد بهمس:

- ومَن غيرها!

ولكنه تجاهل الأمر مؤقتًا وهو يناديها أن تقترب لتجلس بجواره، خطت إيلينا نحوه ببطء وهي تنظر إليه بتحيّر، جلست بجواره بتوتر واضح وهي تزيح خصلة ثائرة من شعرها تتحرك على وجهها بتمرد، ثم سألته والخوف يزين صوتها:

- كيف عرفت ما يفكر به؟

أمسك بحجر ملون بألوان متداخلة بشكل غريب ثم نظر نحوها وهو يقذفه بعيدًا عنهم:

- تستطيعين أن تطلقي عليها موهبة مخلوطة بسحر مخفي!

رفعت حاجبها بتعجب واضح فقرّب رأسه منها ورفعه بعجرفة وهو يقول لها:

- أظننتِ أنكِ فقط تمتلكين سحرًا يدعو للانبهار إيلي؟

ابتلعت ريقها بصعوبة بالغة وتسارعت أنفاسها بشدة وهي تنظر لعمق عينيه بذهول، كيف له أن يعرف هذا الاسم، فلا يناديها به أحد على الإطلاق سوى واحد فقط؟! وقبل أن تسأله وجدت نعمان يقف أمامهم قائلاً:

- أرجو ألا أكون قد قطعت عليكم شيئًا هامًا!

وقف غيث يبتسم له قائلاً:

- لا تقلق لقد انتهينا.

ثم نظر نحو إيلينا التي ما زالت تحت تأثير الصدمة يسألها:

- أليس كذلك إيلينا؟

مشددًا على اسمها بطريقة جعلتها تهز رأسها إيجابًا، نظر نعمان نحوهما بقلقٍ واضح ثم قال بعملية:

- حسنًا إذًا تعال معي أريدك في شيء هام!

ثم أخذه واختفى تاركًا إيلينا في حيرة شديدة من هذا الشخص الذي لم تعرفه إلا من عدة ساعات ولكنها تشعر أنها سنوات!

- يا إلهي ماذا يحدث لي؟

رددتها بهمس ثم نظرت للسماء فوجدت الشمس لم تغب بعد، فقررت أن تنادي على صفوة كما أخبرتها روهان قبل أن يأتي والدها ولكنها شعرت برجفة خوف فلأول مرة تستدعي جنيًا لا تعرفه.

جلس يستند على عرشه بكبر وخيلاء، يضع ذراعيه أعلى حافتي المقعد الكبير ويفردهما عن آخرهما،

يستمع لكل شيطان من أبنائه على حدة، ثم يبعد عنه ما يقصّر في أداء مهامه ومن يؤدي عمله على أتم وجه يجعله قريبًا منه وذلك كل ليلة، دخل يوناس بعد أن أتم مهمة الليلة وقد كانت مع «خنزب» أحد الشياطين التي توسوس لمن يؤدون الصلوات حتى تبطل صلاتهم، سأله عزازيل بغضب لعدم سجوده له مثل الباقين:

- كيف أبليت اليوم يا يوناس؟

ابتسم له يوناس بزهو وهو يجيبه:

- جعلت صلوات خمسة من المسلمين باطلة.

بنظرات تكاد تحرقه قال له عزازيل:

- حسناً، الآن وصلت لقمة الكفر يا يوناس فأنت لم تعد تكفر بخالقك فقط بل تجعل الناس يتبعونك، هل أنت راضٍ عن السيطرة الآن؟

بادله يوناس بنظرات تحدٍ واضحة لا تعبر عما بداخله قائلاً:

- أنا الآن أشعر بالقوة، والسيطرة، والتحكم.

ضحك عزازيل بصوتٍ مرتفع اهتز له عرشه ثم قال له:

- حقًا إحساس القوة والسيطرة مثير جدًا يا يوناس، ولكن يجب عليك أن تشكرني لأنني جعلتك تشعر به، أليس كذلك؟

أمعن يوناس النظر إليه متسائلاً:

- وما هي كيفية شكرك إذًا؟! لقد ظننت أنني أشكرك بالفعل!

لمح نظرة استفهام على وجهه فأكمل يوناس بثقة:

- لقد أصبحت أزيد من عدد العصاة الذين يتبعونك.

اتسعت عين عزازيل بغضب قائلاً:

نظر جميع الشياطين نحو يوناس منتظرين سجوده لإلههم، اقترب يوناس من عرش عزازيل مما جعل باقي الشياطين يبتسمون بنصر، سيسجد ابن ملك الجان المسلمين لأبيهم وسيكون النصر حليفهم دائمًا، توقف يوناس أمام عزازيل مباشرة ثم نظر لعمق عينيه النارية قائلاً:

- إن كان السجود يعتبر شكرًا فالواجب أن أسجد لخالقي، شكرًا عزازيل، وليس لمن سيتبرأ مني يوم الحساب!

بصوت أجش عالٍ جعل المملكة كلها تهتز، أمر الجميع بالتفرق من أمامه على الفور، وبالفعل تفرق جمع الشياطين وخرجوا يهرولون من أمامه برعب واضح بينما وقف يوناس كما هو لم يتحرك قيد أنملة، تحول عزازيل لشكل بشري قميئ وهبط من عرشه، ثم التفت نحو يوناس بنظرات تكاد تحرقه حيًا وهو يقول:

- هذه هي معتقداتك التي بالفعل صحيحة كما تعلمت من أبيك وجدك يا ابن الإنسية، فلماذا جئت إليّ إذًا؟! بل وتساعدني كما قلت على زيادة عدد العصاة الذين يتبعوني لجهنم ومؤكد أنت منهم!

التفت يوناس نحوه ليواجهه قائلاً:

- أظن أنني قلت عن السبب، أنا شغوف لتعلم السيطرة على البشر ولم أجد من هو أبرع منك وأولادك في ذلك.

وضع يده على كتفه وهو يقول:

- وما الذي ستفعله بسيطرتك على البشر يوناس؟!

أزاح يوناس كف عزازيل من على كتفه وهو يجيبه:

- أظنه شيء يخصني وحدي عزازيل.

انتقل عزازيل خلفه وهو يستنشق بأنفه رائحة جسده قائلاً:

- ما زلت أشتم رائحة الإيمان بقلبك أيها المتمرد.

قهقه يوناس عاليًا وهو يقول له:

- وأنت أيضًا مؤمن بالله أيها الشيطان العنيد، أم أنك كافر به؟

لم ينتظر إجابته، وأكمل وهو يلتف نحوه كما يفعل:

- الكفر بالله وبقضائه وقدره وإقناع البشر أنه لا وجود لإله في هذا الكون الكبير وأنه خلق صدفة أو تطور من العدم وغيرها وغيرها من الأكاذيب والتساؤلات التي نجعلهم يسألونها ليصلوا لحد الكفر، هي من اختراعك يا عزازيل وأنت تعلم هذا جيدًا، فلا داعي لإقناعي بهذا الهراء، أنا هنا لغرض معين وبالمقابل أزيد من عدد أتباعك فلا تضطرني لتركك والعودة لمملكتي فأنا لن أسجد لك أبدًا وإن قتلتني.

همّ أن يختفي من أمامه فأمسكه عزازيل من رقبته حتى بدأ يوناس بالاختناق، ابتسم عزازيل في وجهه وهو يتفحصه قائلاً:

- حسنًا، أستطيع قتلك الآن.

تركه بين يديه لبضع لحظات حتى كاد أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ولكنه رغم ذلك لم يهتز أمامه ولو لحظة واحدة، أفلته عزازيل من يده ليقع على الأرض قائلاً له:

- ربك هو من وهبك الحياة يوناس وأنا منذ قليل كدت أن آخذها منك.

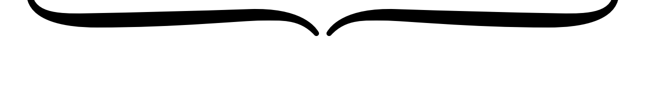
بدأ يسعل بشدة من أثر اختناقه ولكنه ضغط على نفسه حتى وقف أمامه بشموخ قائلاً:

- لن تستطيع قتلي وأنت تعلم جيدًا أنني عاصٍ ولست كافرًا يا عزازيل وإن قتلتني لن ألحق بك لجهنم يومًا.

اشتعل جسده نارًا حامية وهو يشعر أن هذا الصبي مازال يتفوق عليه فقرر أن يلزمه بمهمة أكبر تجعله يلحق به في نار جهنم ولم يجد شيئًا أجمل من قتل مؤمن متعمدًا، ابتسم بخبث وهو يقول له:

- إذًا فمهمتك القادمة هي الذهاب مع ناصور وسنجاب في القضاء نهائيًا على مملكة الملك «أبا محرز» ولا تترك فيها مسلمًا واحدًا على قيد الحياة.

توقف قلب يوناس وتجمدت حواسه من الصدمة، هو جاء للسيطرة على الإنس وليس لقتل الجن المسلم! ولكنه لا يستطيع الاعتراض الآن، لقد دخل جحر الشياطين بقدميه ولا مجال للعودة فإن فعل سيقتله عزازيل وإن عاد سيقتله جده، هو اختار طريقه ويجب أن يتمه للنهاية ويتحمل تبعاته!



الفصل التاسع



شعرت إيلينا بالخوف من صفوة في بادئ الأمر، فهي شخصية متحفظة وقليلة الكلام، ولكنها بعد قليل من الوقت اعتادت عليها فهي ساحرة بحق حين تتحدث، الآن عرفت مقصد خالتها من تعريفها للصفوة، أخبرتها أنها سمعتها تعزف في منزلها صباح اليوم، ابتسمت لها صفوة برقة تسألها:

- هل تحبين العزف؟

أخرجت إيلينا آلة الفلوت الخاصة بها وأجابتها:

- أنا أدرس في جامعة للموسيقى وهذه آخر سنة لي.

اندهشت صفوة وأمسكت بالفلوت تتفحصه عن قرب وهي تقول:

- إنها تشبه آلتي كثيرًا ولكن خاصتي مختلفة عن هذه، فأنا أفضل الخشبية، فالمعدنية لا أشعر معها بالدفء، ابتسمت لها إيلينا وهي تدعوها لتجربتها قائلة:

- هذه من الذهب الخالص لقد أهداها لي والدي في يوم مولدي.

ابتسمت صفوة بعذوبة وأمسكت بالفلوت الخاص بإيلينا وبدأت العزف بمقطوعة لم تسمعها الأخيرة من قبل، توقفت بعد قليل وأعطتها آلتها وهي تزم شفتيها قائلة:

- إنها باردة ونغماتها حادة.

ضمت إيلينا حاجبيها وهي تنظر للفلوت خاصتها بتعجب متسائلة:

- هل لهذا السبب أخفقت في أن أكمل مقطوعتي الخاصة كما أريد؟

أخرجت صفوة آلتها وأعطها لإيلينا التي أمسكت بها بتعجب شديد فهي تشبه الفلوت إلى حد كبير ولكنها مختلفة تمامًا؛ فثقوبها أكثر عددًا ومفاتيحها أقل عددًا، ونوعها من الخشب العجيب الذي لم تره من قبل!

شجعتها صفوة على تجربتها وبالفعل بدأت تعزف عليها فجحظت عين صفوة بتعجب ثم أوقفتها سريعًا وهي تنظر حولها بذعر قائلة:

- توقفي إيلينا!

سألتها إيلينا وقد تملك منها القلق:

- ماذا حدث؟

هزت صفوة رأسها نفيًا ولم تخبرها بحقيقة الأمر ثم مدت لها يدها بآلتها الذهبية قائلة بقلق واضح:

- لا تستخدمي خاصتي مرة أخرى!

شعرت إيلينا بالخوف منها ولكن الأخيرة حاولت أن تخفف وطأة الأمر وبدأت تشرح لها بعض التقنيات وتغيير النغمات أثناء عزفها، ورغم شعور إيلينا بالتوجس منها، لكنها بالفعل تعزف بمهارة لا مثيل لها على وجه الأرض، ولها خبرة تفوق أعظم الموسيقيين، يجب عليها أن تلتصق بها حتى تستطيع العزف مثلها يومًا، بدأت الشمس في الرحيل واقترب حلول الليل على المملكة، لهذا وقفت صفوة تودع إيلينا قائلة:

- لقد سررت بالعزف معكِ يا إيلينا، فأنتِ تسحرين الجميع بأنغامكِ، ولكن ينقصكِ القليل لتتقني نغمات الجن ووقتها ستكتمل معزوفتك السحرية.

أجابتها إيلينا بابتسامة ودودة:

- شكرًا جزيلاً لكِ يا صفوة على مساعدتكِ وأراكِ غدًا على خير حبيبتي.

بادلتها صفوة الابتسامة وعرضت عليها أن توصلها لقصر بني النعمان، ولكن إيلينا شعرت بالحرج من الانتقال معها وخافت أن تتأخر في العودة لمنزلها فهي لم تدرك بعد سرعة انتقال الجن للأماكن المختلفة،

تركتها صفوة ولم تُردْ الضغط عليها وانتقلت لمنزلها قبل مجيء والدها من العمل، قررت إيلينا العودة للقصر قبل حلول الليل فهذه أول ليلة لها في عالم الجن وهي تشعر بالارتياب من فكرة رؤيتها للجن في جوف الليل،

سارت بخطوات سريعة نحو القصر حتى وصلت إليه، دلفت للداخل تنادي على خالتها ولكنها ويا للعجب لم تجبها! انتفضت بذعر حين وجدت إحدى الخدم أمامها، رفعت الفتاة يدها معتذرة وهي تقول:

- أعتذر منك سيدتي لم أكن أقصد إخافتك، ولكني سمعت نداءكِ لسيدتي روهان فجئت أخبرك أنها رحلت مع سيدتي زمردة وتركت لكِ رسالة بأنها لن تتأخر.

شكرتها إيلينا بمودة، فهمّت الفتاة أن تنصرف ولكن إيلينا أوقفتها تسألها عن غرفة يوناس، أمسكت الفتاة بيدها وقادتها لغرفته ثم تركتها عند بابها وانصرفت بعد أن أخبرتها أن الغرفة محرّمة عليها فلا يدخلها إلا أبوه ومن أذنت له سيدة القصر «روهان»، أمسكت إيلينا بمقبض الباب وهي تتنهد بألم، لم تره منذ سنوات مرت عليها كأنها قرون طويلة، أدارت مقبض الباب وعبرت داخل الغرفة تتفحصها وتستنشق عطره الممزوج برائحته النارية وهي تردد:

- يوناس..

ولأول مرة تنطق اسمه منذ خمس سنوات ولأول مرة لم يجبها حين تنطق اسمه، تجمعت الدموع بعينيها وبدأت تسقط اشتياقًا له، جلست على فراشه وأخرجت آلة الفلوت وبدأت في عزف مقطوعة كان يعشقها، هي «السيمفونية التاسعة لبيتهوفن»،

قـربـت عـلى الانـتهاء مـنها وهــي تـشعر بـالإحـباط لـعدم استجابته لها، ألهذه الدرجة يكره العودة! أم كرهـها هـي ولم تعد تؤثر فيه؟! توقفت عن العزف ودموع عينيها تتساقط مثل زخات المطر التي تروي أرضًا عطشى! شـهقت حـين وجدتـه يـقف أمـامـها يـنظر نـحوهـا بـغضب يـكاد يـحرقـها، جـففت دموعها سريعًا ووقفت لتركض نحوه فأوقفها بإشارة من يده، ازدادت سـرعـة نـبضات قـلبها وشـعرت بـالألـم الشـديـد مـن رفضه لها!

كـان يجـلس مـع أحـد الـشياطـين الـمختصين بـتزيـين أفـعال التجار باللهو والكذب لبيع بضائعهم، ولكنه توقف وابتعد عنه وهو يسمع صوتها يستدعيه، انتفض قلبه بداخله، لم تناديه حبيبته منذ خمس سنوات، خمسٍ عجاف، حـاول تـجاهـلها ولكنها ضغطت عليه بنقطة ضعفه الوحيدة التي لم يستطع تجاهلها وهـي عزفها لمقطوعته المفضلة، ظل متماسكًا لفترة ولكنه لم يستطع الصمود لأكثر من ذلك، ابتسم حين وجدهـا مـازالت تتذكر ما يحبه، وبدون تردد انتقل إليها على الفور، تـوجّـع قـلبه مـن رؤيـتها تـبكي بهـذا الحـزن لـعدم اسـتجابـته لـها ولـكنه قـرر دفـن نـقاط ضـعفه جـميعها وأولـهم هــي، حـبه الوحيد، أوقفها حين حاولت الاقتراب منه فهو يعرف جيدًا أن مـجيئها لعالم الجن لم يكن قرارهـا بل هـو رجاء أمـه لعودتـه مـرة أخـرى ولـكنه لـن يسـتطيع الـعودة مـن هـذا الـطريـق، استجمعت إيلينا شجاعتها وحاولت وأد إحساسها بالشوق الشديد إليه والتحدث معه في الأمر الأهم من ذلك:

- ما الذي فعلته يا يوناس؟

أجابها بثقة تامة:

- ما أفعله ليس من شأنك إيلينا.

ابتلعت غصة بحلقها وحاولت أن تستعطفه:

- ولكنه من شأن والدك ووالدتك التي ستموت يومًا من حزنها عليك.

ابتسم بمرارة فهذا هو العائق الوحيد، «أمه»، حاول أن يغيّر الحوار في اتجاه آخر، هو بحاجة للشعور أنها جاءت من أجله وليس من أجل والدته، سألها وهو ينظر لعينيها بلهفة وشوق شديدين:

- ما الذي جاء بكِ يا إيلينا؟

كانت تتمنى أن تخبره حقيقة الأمر، أنها ركضت لعالم الجن من أجله، إنها تألمت كثيرًا وما زالت تتألم من بُعده عنها، ولكنها أرادت أن توجعه كما فعل بها، قد وعدها أنه لن يمس غيرها ولكنه لم يفِ بوعده، تصاعد غضبها وهي تتخيّل رؤيته مع إحداهن، وأجابته وهي تشعر باشتعال قلبها غضبًا منه:

- جئت لأجل خالتي المكلومة بسببك يوناس.

صك أسنانه بألم وتلونت عيناه للأسود القاتم وهو يقول:

- حسنًا، امكثي مع أمي ولا تستدعيني مرة أخرى.

ركضت نحوه سريعًا قبل أن يرحل:

- انتظر يا يوناس لا تهرب كعادتك.

توقف للحظات يرمقها بنظرة حارقة ثم تقدم نحوها يقترب منها وهو يضم عينيه يتفحصها متسائلاً:

- تتهمينني بالجُبن يا إيلينا؟!

عادت للخلف برعب حتى التصقت بالجدار خلفها ولم تستطع النطق، فأكمل هو:

- خمس سنوات لم تنطقي بها اسمي وحين فعلتِ وجئتك راكضًا وأنا أتجاهل احتمال رؤية أحد الملوك أو معرفتهم بوجودي في المملكة تخبريني بكل صفاقة أنكِ جئتِ من أجل أمي!

ثم أمسك كفها يكاد يعتصرها حتى أصدرت على إثره أنينًا متألمًا، فتجاهله يوناس تمامًا وهو يُكمل:

- لقد عجزت عن نطق اسمي لخمس سنوات متتالية فلا تجرؤي الآن على اتهامي بالجُبن والهرب منك.

ترك يدها وهو يضحك عاليًا باستهزاء ويقول:

- لا تتهمين أحدًا باتهامات تنطبق عليكِ أنتِ إيلينا.

ثم التصق بها وهو يرفع سبابته يحذرها :

- إياك أن تستدعيني مرة أخرى، وأخبري أمي أن تكف عن المحاولة.

قرّب وجهه منها فأدارت رأسها باتجاه آخر، ابتسم وهو يخبرها بهمس قاتل لكل حواسها:

- حين تصبحين شجاعة وتعترفين أنكِ ما زلتِ تحبينني وأنك تقبلين بي حتى وأنا متمرد شيطان، وقتها فقط سأفكر فيَ تلبية نداءكِ، كوني شجاعة لمرة واحدة وحاولي الاعتراف بحبك لي فأنا على يقين أن قلبكِ ما زال بيدي.

ثم اختفى قبل أن تدرك الأمر، جلست على فراشه بعد أن خارت قواها وأصبحت قدماها لا تحملانها وهي تردد بأنفاس مضطربة وقلب متهدج:

- نعم أحبك يا يوناس، ولكني لن أخبرك بها إلا حين تعود لرشدك.

أسرع غيث لنعمان، لقد تأخر عليه كثيرًا، ولكن الأمر خارج عن إرادته، نهره نعمان على تأخيره قائلاً:

- لا تجعلني أنتظرك مرة أخرى، لقد قلقت أن يكون أحدهم قد اكتشف أمرك.

أجابه غيث مطمئنًا:

- لا تقلق أنا حريص على التخفي جيدًا، لقد بدأت في اعتياد الأمر.

أخرج نعمان خريطة كبيرة كان يُخفيها في ملابسه وبسطها على المنضدة أمامه، ثم انحنى نحوها وأخذ يصنع علامات على أجزاء منها وهو يقول:

- لو استطاعوا كسب هذه المعركة فسوف نخسر قبيلة مسلمين كبيرة بحجم قبيلة أبا محرز الأحمر، لا يوجد بينهم عدد كبير من الجنود سيحتاجون لجنود باقي الممالك مجتمعين.

تفحص غيث الخريطة بتركيز تام قائلاً:

- هم يريدون الزحف نحوكم وأنت هدفهم الرئيسي، أنصحكم بعدم ذهابك لهذه المعركة واجعل أحد قادتك الأشداء يقودها نيابة عنك ودعني أنا أساعدك.

طرق نعمان بقوة على المنضدة حتى كادت أن تنكسر لنصفين وهو يصرخ به:

- هؤلاء الأنجاس لا يجرؤن على مواجهتي، وأنا لست بجبان لأهرب من هذه المعركة.

نظر غيث حوله بقلق مخافة أن يكون هناك جاسوس يراقبهم ثم حاول خفض صوته قائلاً:

- اهدأ أرجوك، أنا أحاول أن أشرح لك شيئًا ما ولكنني أخاف أن يسمعنا أحد.

أمسك نعمان بيده وانطلق للغرفة المحصنة بمملكته وقال له:

- حسنًا أنا أسمعك الآن بتركيز.

بعد أن توقفت عن البكاء بشق الأنفس، غطت في نوم عميق لعدة ساعات، استيقظت فزعة وهي تنظر حولها برعب وتتساءل:

- أين أنا؟

لحظات وبدأ وعيها يعود فتنهدت براحة ثم استدعت الخادمة تسألها عن خالتها وكانت إجابتها صادمة:

- لم تأتِ بعد!

تملكها القلق الشديد عليها لقد تأخرت جدًا فالوقت قارب على الساعة التاسعة ليلاً ولم تأتِ بعد، دارت حول نفسها لا تعرف ماذا تفعل؟! وهل أصابها مكروه؟! فكرت أن تستدعي بني النعمان ولكنها تراجعت في اللحظة الأخيرة وقررت أن تنظر قليلاً، شعور برهبة القصر وخوائه جعلها تحتاج لصحبة لم تدرِ لمَ تذكرته هو تحديدًا، هل من الممكن أن...

قاطعت أفكارها وقررت أن تنادي صديقًا حديثًا ولكنها ترتاح له قليلاً، لحظات وجاءها ساهف يلتفت حوله بذعر، سألته بقلق:

- ما بك يا ساهف؟

وقبل أن يجيبها كان يلتف حوله عشرات الحراس يمسكون به، للحظات لم تستوعب ما يحدث حولها!

- من هؤلاء الحراس؟ ولماذا يمسكون به هكذا؟ ومن أين أتوا؟

كلها أسئلة دارت في عقلها في ثوانٍ معدودة مما جعلها تصرخ بهم:

- ماذا يحدث؟!

توقف كبيرهم أمام ساهف، مما جعلها تعود للوراء بخوف منه، فطوله مبالغ فيه وجسده كبير بشكل ملفت ولكنها حاولت التماسك لتستمع له وهو يقول:

- هذا الجني دخل القصر بدون استئذان.

شعرت بالحرج الشديد فهذا أول يوم لها كضيفة وبدأت في التعامل وكأنها صاحبة المنزل، رددت بهمس سري: «أين أنتِ يا خالتي؟»، ثم تنحنحت بخجل قائلة:

- أعتذر منكم فأنا من استدعيته.

توقف الرجل قليلاً ثم التفت يتفحص ساهف ثم أشار للحراس أن يتركوه، وقبل أن ينصرف أخبرها:

- نحن بالقرب منكم سيدتي لو تعدى هذا الجني حدوده، ما عليكِ سوى أن تنادي «حقيال» وستجديننى أمامك في لحظة واحدة.

هزت إيلينا رأسها إيجابًا وهي تبتسم له بشكر، اختفى حقيال ومن خلفه باقي الحراس، ونظرت إيلينا نحو ساهف قائلة:

- أعتذر منك يا ساهف أنا لا أعرف القوانين هنا.

أجابها ساهف وهو ينظر حوله بانبهار:

- لا عليكِ إيلينا.

ضمت حاجبيها بعجب قائلة:

- لماذا تتفحص القصر بدهشة هكذا؟! ألا تعيش في واحد مثله؟

أطلق ضحكة عالية انتفضت لها ثم ابتسمت له بتحيّر فتوقف عن الضحك وهو يرفع كفه معتذرًا عن علو صوته قائلاً:

- أعتذر منكِ إيلينا، ولكن هذه القصور للملوك وأبنائهم، نحن عامة الشعب.

ثم رفع زاوية فمه بسخرية تعجبت لها إيلينا ولكنها تجاهلت الأمر وأشارت له أن يجلس معها قليلاً قائلة:

- شعرت بالاختناق الشديد وأنا أجلس هنا بمفردي، فأنا لم أعتد الأمر بعد.

جلس أمامها وهو يتساءل:

- وأين هي خالتك؟

أجابته وهي تتأفف:

- جئت من الخارج ولم أجدها وأخبرتني الخادمة أنها ذهبت مع زمردة.

ثم سألته سريعًا بوجل:

- هل تعرف هذه الزمردة يا ساهف؟

هز رأسه إيجابًا وهو يقول:

- ومن لا يعرفها يا إيلينا فهي ابنة الملك ميمون أبانوخ.

ثم اتبعه بسؤال آخر قاله بامتعاض:

- وأين الإنسي المتطفل؟! ألم يأتِ معكم؟! أو إنه ولله الحمد ذهب بلا رجعة؟

ضحكت إيلينا على دعابته قائلة:

- لا لم يعُد، لقد أخذه نعمان معه ولم يعد أحد منهما منذ ساعات.

ثم تأففت بضجر:

- لقد بدأت أشعر بالملل من أول يوم.

ثم لاحت نظرة حزن على وجهها فاقترب منها ساهف برقة قائلاً:

- تشعرين بالملل في عالمي، هذه ألطف دعابة سمعتها اليوم.

سقطت دمعة حزينة من عينيها وهي تخبره:

- يوناس أصبح يكرهني يا ساهف.

ثم أجهشت بالبكاء، أمسك ساهف يدها بحزن ثم ضغط عليها بخفة قائلاً:

- ششششش، اهدئ يا إيلينا وأخبريني ماذا حدث؟

قصت له إيلينا ما حدث بعد استدعائها ليوناس، وأنه لم يعد يهتم لأمرها ولا لأمر أي أحد سوى نفسه وما يريده،

حاول ساهف مواساتها ولكنه تركها فجأة عند وصول روهان خارج القصر ثم توقف قائلاً:

- لقد وصلت خالتكِ، سأذهب الآن وإن احتجتني ما عليكِ سوى مناداتي.

هزت رأسها له وشكرته بشدة على وجوده بجانبها في أصعب أوقاتها، لحظات ووجدت خالتها تقف أمامها ترفع حجابها بغضب واضح وبجوارها فتاة ترتدي السواد بعيون زرقاء براقة، مدت زمردة يدها نحو إيلينا قائلة:

- تشبهين خالتك تمامًا.

فعلت إيلينا بالمثل وصافحتها وهي تشكرها على الإطراء ثم التفتت نحو روهان التي ما زالت تزبد تسألها بقلق:

- لقد قلقت عليكِ كثيرًا يا خالتي، أين كنتِ طوال النهار؟

نظرت روهان نحوها متسائلة بغضب:

- هل استدعيت يوناس اليوم؟!

هزت رأسها إيجابًا وهي تشعر أن هناك خطبًا لا تفهمه، فسألتها:

- هل أخطأت يا خالتي في شيء؟

تأففت روهان وهي تشعر بخوف شديد على زوجها بعد أن علمت بمعركة الشياطين القادمة لقبيلة أبا محرز، جلست زمردة بجوارها تربت على كتفها قائلة:

- لا تقلقي يا روهان، نعمان سيتدبر أمره، وأنا استدعيت زيتون وسيأتي اليوم ويكون معهم.

جلست إيلينا على الجانب الآخر تتساءل وقد زحف الرعب لقلبها:

- ماذا يحدث يا خالتي؟ أنا لا أفهم شيئًا؟

وقبل أن تجيبها روهان دخلت صفوة سريعًا ولكنها توقفت حين وجدت زمردة تجلس معهما، وقفت روهان تدعوها للجلوس وهي تسألها: - ما بك يا صفوة؟

نظرت نحو إيلينا وزمردة بقلق فشجعتها روهان أنه لا بأس من أن تتحدث أمامهما، تكلمت صفوة قائلة بذعر شديد وهي تنظر نحو زمردة بوجل تعجبت له الأخيرة:

- لقد سمع أحد الشياطين عزف إيلينا اليوم على آلتي وأخبرني أحدهم أنهم يبحثون عنها !



الفصل العاشر

وقف خارج الكهف يُخبر الحارس أنه يريد مقابلة سيده في الحال، رفض الحارس دخوله وهو يخبره أن سيده ناصور في اجتماع هام مع سيده سنجاب، فأخبره أنه يريده من أجل هذا الاجتماع وأن لديه أخبارًا هامة بخصوص المعركة القادمة، وبعد إلحاح منه وافق الحارس أن يبلغ سيده، وبالفعل أمر ناصور بدخوله على مضض ليسمع ما عنده، دخل ساهف مطأطأ الرأس فسأله ناصور بغضب:

- ألم أحذرك من مجيئك في هذا الوقت حتى لا ينكشف أمرك أيها الغبي!

رفع رأسه وبنبرة رجاء اعتذر له قائلاً:

- أعتذر منك سيدي ولكني دخلت قصر بني النعمان اليوم، اعتدل ناصور في مقعده مبتسمًا، بينما نظر سنجاب نحوه باهتمام وترك خريطة الهجوم من يده، أكمل ساهف بعد أن جذب انتباههم قائلاً:

- لقد استدعتني إيلينا.

سأله باهتمام:

- كيف دخلت القصر؟! وبماذا أخبرتك؟

نظر سنجاب لناصور قائلاً:

- تعتقد أنها خدعة من بني النعمان؟

أجابهما ساهف سريعًا وبثقة تامة:

- لقد أمسكني الحراس في بادئ الأمر ولكنها أمرتهم أن يتركوني.

ثم نظر نحو سنجاب مكملاً:

- وبني النعمان لم يكن في القصر، لقد أخبرتني أنه بصحبة الإنسي غيث منذ عدة ساعات ولم يعد أحد منهما.

سأله ناصور بتعجب:

- هل تعرف هذا الإنسي؟

أجابه ساهف:

- لم أره سوى اليوم في الصباح وذهبت بعدها أتقصى أخباره فعرفت أنه شيخ يُخرج الشياطين من أجساد الإنس وأنه قوي جدًا وكان آخر ضحاياه كان سيدي دهار.

انتفض سنجاب بغضب جعل ساهف يعود للخلف بفزع بينما صرخ هو به قائلاً:

- هذا الإنسي الدَنِس هو من قتل دهار، ورأس عزازيل لأقتلنه بيديّ هاتين، ثم أشار لاثنين من الأيدي المتعددة لديه:

رفع ناصور يده نحو سنجاب قائلاً:

- اتركه يا سنجاب يُكمل ما جاء من أجله.

ثم أشار نحو ساهف الذي أكمل سريعًا ليخرج من هذا الكهف قبل أن يختنق ويموت من رائحته القذرة:

- كانت الإنسية روهان وزمردة بنت الملك ميمون خارج القصر لساعات أيضًا، ويوناس عاد لقصر أبيه عندما استدعته إيلينا ولكنه رفض العودة وتركها وعاد لملكة سيدي عزازيل.

رفع ناصور زاوية فمه بابتسامة قميئة وهو يقول:

- إذًا يوناس ما زال معنا، وبني النعمان علم بخطة هجومنا على مملكة أبا محرز ولهذا يُخطط للحرب مع هذا الإنسي الغريب؟

أشار لساهف أن ينصرف ويوافيه بآخر الأخبار، فانحنى له ساهف طاعة واختفى من أمامه على الفور،

تبادل سنجاب وناصور نظرات الخبث والمكر عندما قال الأخير:

- جهز الجيوش وأخبر عزازيل أننا سنهجم عليهم غدًا وليس بعد غدٍ حتى لا يستطع بني النعمان التصدي لنا.

وقبل أن يختفي سنجاب ليفعل ما أمره به ناصور توقف حين ظهر «ظام» بجسد القط الأسود ليتحول لهيئته الشيطانية قائلاً:

- هناك في مملكة الملك الأبيض إنسية تستطيع بعزفها على آلة من آلات الجن السيطرة على الشياطين بشكل غير مسبوق، يجب علينا قتلها في الحال قبل أن تكتشف الأمر!

لم يستطع ناصور الانتظار فذهب مع سنجاب نحو مملكة عزازيل، طلبا الإذن بالدخول فأذن لهما عزازيل، وبعد تقديم التحية والسجود له وقف الاثنان يخبرانه ما أخبرهما به ساهف، ضم عزازيل عينيه بتركيز تام ثم بصوت يعرفه الجميع نادى على «راكان» فحضر في الحال، حضر راكان بهيبته أمام عزازيل ساجدًا له، التصق سنجاب بناصور الذي ارتعد من حضور راكان المهيب، أقوى شيطان في ممالك الجان، ووقف أمام عزازيل ينتظر أوامره، أشار عزازيل نحو ناصور وسنجاب قائلاً:

- سندخل في حرب مع الجن المسلمين لنأخذ أرضهم، لقد ازدادت أعدادنا والمسلمون يعيشون في ممالك كبيرة لا يستحقونها، نحن أحق بها منهم.

أومأ راكان برأسه، فرفع سنجاب يده يستأذن بالحديث، فلن يجد فرصة أفضل من هذه ليحصل على مساعدة راكان في حربه مع الإنس، أذن له عزازيل بالحديث، أجلى سنجاب صوته قائلاً:

- لقد أخبرتك من قبل سيدي برغبتي في حرب مع الإنس.

احتدت نظرات عزازيل بالغضب مما جعله يخرج سوطًا كبيرًا يشبه السلسال مصنوعًا من حديد ثم ضربه به قائلاً بصوت رج العرش رجًا:

- أخبرتك من قبل لا حرب مع الإنس أيها الغبي، أنا أريد اصطحابهم معي لنار جهنم وأنت تريد أن تجعلني أقتلهم فيذهبون للجنة شهداء!

ركع سنجاب على ركبتيه متألمًا ولم يستطع النطق مرة أخرى، تركه عزازيل وأكمل أوامره:

- لقد كثر أعداؤنا يا راكان ويجب علينا إبادتهم جميعًا، حين ينتهى هذان الغبيان الليلة من إحدى قبائل المسلمين لن يتبقى سوى الثلاث الأقرب والأقوى بينهم، وأنا على يقين أن هؤلاء الثلاث سيحاربون مجتمعين، أريد منك قيادة الشياطين في هذه المعركة الأخيرة.

تردد ناصور أن يطلب إذنًا بالحديث ولكنه جازف وطلبه فأذن له عزازيل بنفاد صبر، سأله ناصور:

- هل سينضم يوناس لنا في الحرب الأخيرة يا سيدي؟

هز رأسه نفيًا قائلاً:

- لا أثق في ولائه لهذه النقطة.

ثم توجّه بحديثه لراكان الذي كان يقف مستمعًا:

- لهذا استدعيتك راكان، أريد منك قتل ابن الإنسية بعد أن تنتهي هذه الحرب.

لمعت عينا راكان بسعادة فهو يريد قتله منذ أن ذاع صيته وأصبح أقوى جني في ممالك الجان بسبب حمله لكتاب أسرار الجن، فهو من قرون طويلة يحمل اللقب ولم ينافسه عليه أحد، ولكنه كان يخاف عزازيل لأنه أراد ضمه للشياطين، سأل ناصور باستحياء:

- وهذا الإنسي الذي يُسمى غيث يا سيدي؟

أجابه عزازيل وهو يشير نحو سنجاب:

- سيتولى هذا الشيطان أمره، وأنت تولَ أمر بني النعمان.

تنحنح ناصور قائلاً:

- والإنسية التي تسيطر على الشياطين بعزفها يا سيدي؟

ضم راكان حاجبيه وأطلق قهقهة جعلت سنجاب ينتفض واقفاً ويلتصق بناصور الذي زمّ شفتيه لا يعرف لماذا يضحك هذا الشيطان، رفع راكان يده أمام عزازيل معتذرًا عن ضحكاته الهستيرية، ثم قال لناصور بتهكم :

- تقول إنسية تسيطر على الشياطين بعزفها!

ثم عاد لضحكاته المستمتعة مرة أخرى، أوقفه عزازيل قائلاً:

- كُف عن الضحك يا راكان، لقد أخبرني عنها ظام منذ قليل، وأمرت بإحضارها لنتأكد من هذا الهراء!

رفع راكان يديه باستسلام ثم انحنى أمام عزازيل قائلاً:

- سأذهب يا سيدي حتى أخطط للمعركة الكبيرة.

أذن له عزازيل، وقبل أن ينتقل سمع صوت ناصور يقول لعزازيل:

- لن يسمح لنا يوناس باختطاف الإنسية يا سيدي؟

عاد راكان ليسأله:

- وما علاقة يوناس بالإنسية يا ناصور؟

أجابه:

- اسمها إيلينا وهي حبيبته يا سيدي.

التمعت عيناه بخبث ومكر شديدين وهو ينظر نحو عزازيل قائلاً:

- اتركوها لي فأنا سأتولى أمرها.

جلس محمود بغرفته بعد أن تأكد من أن أميرة أخذت دواءها وغطت في نوم عميق،

أخرج دفتره ونزع منه ورقة مطوية بداخله وخبأها في جيبه ثم بخطوات هادئة نحو سلة المهملات أخرج قداحة من جيب سترته وأشعل النيران في الدفتر ثم تركه بداخل السلة يحترق وأحكم إغلاق غطائها، عاد للغرفة ثم بنداءات متتالية استدعاه، لم يتأخر نعمان كثيرًا، فقد طلب من غيث العودة بعد أن جهزا خطتهم للحرب، جلس نعمان بجوار محمود الذي وقف قائلاً:

- لن نستطيع التحدث هنا يجب أن نذهب للغرفة السرية بمملكتكم، وأريد اجتماعًا عاجلاً مع الملك الأبيض لأنه سيكمل لنا الأحجية فلم أجد الكثير من التفاصيل.

أطاعه نعمان وذهب لقصر والده أدخل محمود للغرفة السرية وذهب لإحضار والده، بضع دقائق ودلف الملك للغرفة يجلس على المقعد الرئيسي للمنضدة الكبيرة بينما جلس بني النعمان مقابلاً لمحمود الذي أخرج من جيبه ورقة مطوية بحرص ليفردها أمامهما على المنضدة، تتزين الورقة برسم عجمي قديم على شكل دائرة كبيرة مزخرفة بحروف خاصة بعالم الجن تتوسطها رسمة لسوار، محمود لا يعرفه ونعمان يشك بأمر ما، ضم الملك الأبيض حاجبيه قائلاً:

- هذا سوار سيد آصف بن بارخيا، ولكنه مفقود من قرون كُثُر!

نظر له نعمان مبتسمًا وهو يقول:

- وأخيرًا يا أبي أكدت لي المعلومة فأنا أبحث عن صورة له منذ زمن بعيد.

ثم أضاف وهو ينظر لمحمود الذي ابتسم بسعادة:

- السوار موجود يا أبي مع غيث حفيد إمام خادم السيد «عبد القادر».

ثم أشار لمحمود وهو يكمل:

- جد السيد محمود.

ابتسم الملك الأبيض متسائلاً:

- وكيف وصل إليه الخادم؟

أجابه نعمان:

- لقد أبلغني غيث أنه وجده ملقى على الأرض أثناء قتال بين اثنين من المَرَدة، واحتفظ به وهو لا يعلم سره، حتى بعد وفاة السيد عبد القادر أخذ عهدًا على نفسه أن ينتقم من الشياطين الذين كانوا سببًا في مقتله، ولهذا حارب من نزل منهم بين الناس بالقرآن وما تعلمه من سيده، ولكنه تعجب كثيرًا من زيادة قوته وقدرته وهو يرتدي السوار فعرف على الفور أنه السبب لهذا أورثه لكل ولد بكري من سلالته وأوصاهم بمحاربة الشياطين، وكل رجل منهم يوصي ابنه الأكبر وهكذا حتى وصل لغيث أخر بكري في العائلة.

وبنظرة انتصار وسعادة قال له الملك:

- هل يعرف أحد بما يفعله هذا السوار مع الجن؟

هز نعمان رأسه نفيًا وعلامات السرور والارتياح تزين وجهه، نظر نعمان نحو محمود قائلاً:

- أريد إحراق هذه الورقة يا سيد محمود حتى لا يراها أحد.

مدّ محمود يده بالورقة يعطيها له وهو يقول:

- لا تقلق لم أجد غير هذا الرسم عندي وحتى قدرات السوار التي دونتها في دفتري من كتاب جدي أحرقتها قبل استدعائك.

صوتها العالي وهي تناديه صمّ أذنيه فاستأذن أبيه وبسرعة البرق أعاد محمود لمنزله وفي لحظات كان يقف أمامها، نظرات الخوف والارتياب منها جعلته يشعر بالقلق الشديد، وقبل أن يسألها ما بها كانت تخبره بهلع:

- الشياطين يبحثون عن إيلينا ويريدونها!

ضاعف نعمان الحراسة على القصر من الخارج ومن الداخل، وأكد على جميع الحراس ممنوع دخول حتى الهواء للقصر، لقد عرفوا بأمرها في وقتٍ مبكرٍ جدًا، لم يكن يتوقع أن يكتشفوا الأمر من أول يوم لها بالمملكة، يجب عليه أن يتصرف بالأمر سريعًا! عاد لروهان بخطوات يسألها بقلق:

- من أين لهم معرفة موهبتها يا روهان؟

ضمت حاجبيها تجيبه بسؤال مشابه:

- وهل كنت تعرف أنت من قبل؟

تأفف نعمان بضيق فهذا ليس وقت جدال:

- لم أعلم بالأمر إلا صباح اليوم يا روهان قبل أن ننتقل للقصر، أخبريني ما الذي حدث في غيابي؟

دلكت جانب رأسها بتوتر قائلة:

- لا أعرف تحديدًا، عندما كنت مع زمردة بالخارج، أخبرتني أنها استدعت صفوة واستخدمت آلتها الموسيقية كتجربة ولكن صفوة أخذتها منها سريعًا وحذرتها من العزف على آلات الجان مرة أخرى، ولكن كان الأوان قد فات!، لقد سمعها أحد الشياطين الجواسيس وأخبرهم عنها، وصفوة من أخبرتنا بالأمر.

ضمها نعمان إليه ثم مسّد ظهرها برفق قائلاً:

- لا تقلقي عليها يا حبيبتي، فلنحمد الله أننا أتينا بها إلى هنا في الوقت المناسب.

ابتعدت عن أحضانه وقلقها يتزايد:

- هل سيكفي هؤلاء الحراس؟ أنا أعرف أنك ستكون في الحرب.

نظر لها بعتب قائلاً: - أرجوكِ يا روهان ثقي بي، إيلينا في حمايتي لن يصيبها مكروه، حتى وإن كانت في جُحر عزازيل.

من أول يوم وليلة حُكم عليها بالحبس التام داخل القصر، زفرت بضيق قائلة:

- حظي العسر ومصيري الأسود يطاردني حتى في عالم الجان!

ظلت تلف بغرفتها وتتأفف والضجر يحوطها من كل اتجاه، حتى العزف الشيء الوحيد الذي يُخرجها مما هي فيه محرم عليها! أدارت مقبض الباب وخرجت تتنفس الهواء وتردد:

- حسناً، الأوامر ألا أخرج من باب القصر ولكن يجب أن أخرج من غرفتي وإلا سأموت اختناقاً.

انتفضت عائدة للخلف تشهق بفزع حين ارتطمت بصدره العريض، ابتسم غيث بعبث قائلاً:

- لو توقفتِ عن الثرثرة قليلًا ونظرتِ أمامكِ لكنتِ رحمتني من هذا الصدام القوي.

زمّت شفتيها بحنق طفولي قائلة :

- والرصين الذي لا يثرثر وينظر للطريق بحرص لماذا لم يبتعد من أمامي وهو يراني آتية؟

اقترب غيث منها بمشاكسة وهو يقول:

- كنت أريد تجربة الاصطدام بفتاة جميلة مثلك.

احمرت وجنتاها خجلاً واضطرابًا محدثة نفسها:

- يا إلهي ما الذي يحدث معي عند رؤية هذا المسمى غيث؟! ويا للعجب أنني لست غاضبة منه ولا من مزاحه؟

أخرجها من شرودها وهو يحرّك كفه أمام وجهها قائلاً:

- أين ذهبت أميرة الألحان؟

هزت رأسها بأسى قائلة:

- لا شيء، أريد أن أتنفس هواءً نقيًا، أشعر أنني أختنق في هذا القصر، تقدمها ببضع خطوات وهو يشير إليها أن تتبعه قائلاً:

- حسنًا، اتبعيني.

لحظات وكانا يجلسان في حديقة القصر الداخلية، نظرت إليه بتعجب ثم سألته:

- لقد أوشكت الشمس على الشروق، لماذا لم تنم بعد؟

- إنها أول ليلة في عالم الجان!

بادلته الابتسامة قائلة:

- بالفعل أول ليلة وأصعب ليلة.

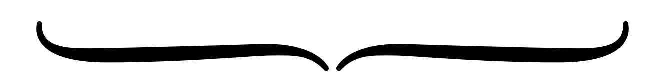
لفت نظرها جزء من شيء يلمع في يده فقربت وجهها تتفحصه عن قرب وهي تسأله:

- ما الذي يلمع تحت إسورة سترتك؟

نظر نحو يده وأزاح السترة وهو يتفحص السوار ثم نظر نحوها مجيبًا:

- إنه سوار، إرث عائلتي.

اندمجا في الحديث معًا وهما لا يشعران بمن يراقبهما من خلف الأشجار على هيئة ثعبان كبير!



الفصل الحادي عشر

صك عزازيل أسنانه بغضب وهو يستدعي يوناس، جاءه يوناس سريعًا وهو يتساءل:

- لماذا تستدعيني بغضب هكذا؟

شعر عزازيل باهتياج مشاعره من طريقة حديث يوناس معه، شعوره أنه مازال يهابه يجعله غاضبًا بشدة ولا يستطيع التعامل مع احتدام مشاعره بشكل مناسب، مازال يوناس مسلمًا ومازال أقوى جني مسلم بما يحمله في داخله، لو تنازل ابن الإنسية عن غروره ومقته لن يستطيع وقتها مواجهته، سيهلك أمامه جميع الشياطين ما عدا الخالدون، أجابه عزازيل وهو يكتم غضبه بشق الأنفس:

- أريد أن أعرف أين تختفي من المملكة؟! وماذا تفعل في وقت اختفائك؟

بادله يوناس نظرات حنق وسخط قائلاً:

- هذا ليس من شأنك!

إجابة صادمة لو لم يكن يوناس لقتله في الحال! ولكنه تحمل وقاحته وعناده فهاتان الصفتان هما ما تبقيانه إلى الآن في مملكته يعمل عمل الشياطين، لو التزم حدود الأدب لصارت بداية الكارثة! تغاضى عن أفكاره حول يوناس فيجب أن يقتله راكان قبل أن يعود لرشده، اعتدل في مجلسه وبصوت آمر قال له:

- لقد قدمنا موعد المعركة الليلة وليس غدًا.

راقب ردة فعله ولكنه لم يعطه ما يريد، جلّ ما استطاع قوله:

- حسنًا سأكون هنا في الميعاد.

أوقفه عزازيل قبل أن يختفي:

- إلى أين أنت ذاهب؟

رفع زاوية فمه ببغض:

- لا تخف يا عزازيل، لن أذهب لأحذر والدي فلو رآني سيقتلني وأنت تعرف هذا جيدًا، أماكن اختفائي لا تخصك في شيء، لا تتدخل في ما لا يعنيك.

ثم تركه خلفه يزبد ويلعن بأبشع الألفاظ وانطلق خارج المملكة، استدعى عزازيل أحد أبنائه ممن يراقبون يوناس، سأله عزازيل:

- أنت تراقب يوناس، أليس كذلك؟

أجابه وهو ينحني أمامه:

- لا سيدي.

وقبل أن يستشيط عزازيل غضبًا أخبره سريعًا:

- حاولت أنا وأكثر من عشرة من الحراس ولا أحد منا يستطيع تعقبه فهو لا يترك خلفه أي أثر يا سيدي، يظهر حين يريد ويختفي مثل الغبار في لحظات معدودة!

صرفه عزازيل بغضب وهو يُقسم أنه لو انتصر المسلمون في معركة اليوم سيقتله في الحال.

أمسك بيدها وهو يقاوم ارتعاشة جسده أمامها، نظرت له بخجل وهي تسحب كفها من بين يديه وتتنهد بيأس قائلة:

- إلى متى سنتقابل سرًا يا قاصف؟!

أجابها قاصف ونظراته تشتعل أمامها:

- قريبًا جدًا يا صفوة، تنتهي الحرب بسلام وستكونين ملكي للأبد.

تأففت صفوة وهي تقول بغضب:

- هذه المرة هي الثالثة التي تعدني بها نفس الوعد يا قاصف ولا تفي به! أمس قابلت زمردة عند روهان ولم أستطع التطلع لعينيها وكأنني أفعل الفاحشة في عقر دارها.

وضع يده على كتفها والرعب يتملكه قائلاً:

- لن أجازف بتعرضك للخطر من قبل أحد الشياطين للانتقام مني، أنتِ تعرفين أنني قتلت ابن عزازيل الأكبر، وأخيه ناصور يبحث عن نعمان وعني لما فعلناه بعائلة أخيه.

ثم اقترب منها يملس وجنتها بطرف إبهامه قائلاً:

- لا أضمن أن يعرف أحدهم أنني أعشقك فيحقق انتقامه منى بك يا حبيبتي.

أزاحت يده بعنف قائلة:

- نعمان متزوج من إنسية وليست جنية يا قاصف ورغم ذلك لا يخاف مثلك أن يتعرض لها أحد!

وقبل أن يُجيب هذه العنيدة ويُخبرها الفرق بينه وبين نعمان، طُرق الباب فاختفى قاصف وتركها ظنًا منه أن هذا الطارق هو والدها! فتحت صفوة بابها فوجدته نعمان، ضمت حاجبيها بتعجب ولكنها أحنت رأسها تحية له، ثم قالت له والدهشة مازالت تعتلي وجهها :

- تفضل يا سيدي.

حياها نعمان ثم قال:

- هل والدكِ بالداخل يا صفوة؟

هزت رأسها نفيًا، فعاد للخلف بضع خطوات وأشار لها أن تتبعه، تبعته صفوة للخارج فوجدته يلتفت حوله يتفحص كل جزء خارج البيت حتى يكتشف إن كان هناك أحد يتجسس عليهما أم لا، لم يلمح أحدًا فاطمأن قليلاً، فهو يعلم جيدًا أنهم مشغولون في التحضير لمعركة اليوم، سيكون انتصارًا كبيرًا لهم القضاء على أكبر الممالك عددًا، وقفت صفوة أمامه على استحياء فقال لها نعمان:

- أريدكِ أن تنفذي ما آمركِ به في الحال يا صفوة.

هزت رأسها بطاعة فاقترب من أذنها يهمس لها، فجحظت عينا الفتاة بدهشة ثم أعقبت دهشتها بابتسامة مكر قائلة:

- حسنًا يا سيدي.

دخل أحد الحراس للبهو الكبير يستأذن لدخول صفوة إلى القصر، أذنت لها روهان فدلفت للداخل تسلّم على الجميع وتجلس بجوار إيلينا، نظرت لها إيلينا بحزن بالغ قائلة:

- كنت أتمنى أن أتعلم منكِ نغماتكم الخاصة يا صفوة، ولكن للأسف لن أستطيع!

ثم طأطأت رأسها بأسى، أمسكت صفوة يدها تضغط عليها برفق قائلة:

- لا تحزني يا إيلينا، سوف أعلمك ولكن على آلتك اتفقنا.

تهللت أساريرها بفرحة غامرة ثم وقفت سريعًا تخرج الفلوت من جيب سروالها وتسلمه لصفوة التي بدأت بالفعل تعزف نغماتهم الخاصة بطريقة احترافية وبسيطة تعلمتها إيلينا على الفور.

تركتهما روهان وذهبت مع زُمردة بعد أن استدعتها مرة أخرى، جلست صفوة مع إيلينا لعدة ساعات حتى أتقنت إيلينا معزوفة كاملة خاصه بالجن، وفرحت فرحًا شديدًا لأنها استطاعت أن تتقنها بهذا الشكل، وعلى حين غفلة احتضنت صفوة بود مما جعل الأخيرة تنظر لها بتعجب، ولكنها بادلتها الاحتضان بلطف بالغ، ابتعدت إيلينا عنها قائلة:

- أشكرك يا صفوة على كل شيء، كنت أتمنى أن تسمعي معزوفتي الخاصة التي ألفتها لمشروع تخرجي، ولكني لن أستطيع، لقد أخبرني نعمان أنها سبب تجمع الشياطين حولي.

ابتسمت لها صفوة مشجعة إياها:

- أنا واثقة أنها رائعة، أنتِ عازفة ماهرة إيلينا، ولكنك أخبرتني البارحة أنكِ لم تكمليها بعد؟

أجابتها إيلينا مبتسمة:

- لقد أكملتها الآن في عقلي بنغامتكم الخاصة، سأدونها في الحال وأعود إليكِ.

وبالفعل ركضت إيلينا نحو الدرج إلى غرفتها وأخرجت دفترها ودونت سريعًا النغمات الأخيرة في المقطوعة الموسيقية كما تخيلتها في عقلها، ونظرت للدفتر الكبير بحزن وهي تردد:

- يبدو أنني لن أستطيع عزفها أبدًا.

ثم انطلقت للأسفل فلم تجد صفوة في مكانها، تعجبت الأمر ولكنها خمّنت أن يكون والدها قد استدعاها فخرجت على عجل دون أن تخبرها، كادت أن تخرج من البهو فوجدت شيئًا على الأريكة مكان جلوس صفوة، اقتربت لتراه فجحظت عيناها وهي تردد:

- لقد نست آلتها!

سمعت صوت نعمان الجهوري المذعور ينادي على الحرس مما جعلها تنتفض وتخبئ سريعًا الفلوت الخاص بصفوة في جيب سترتها، اجتمع الحرس جميعًا يقفون في صفوف منظمة، وأشار لكبيرهم واثنين أخرين قائلاً:

- أنتم ستظلون في القصر تحمون السيدة روهان وإيلينا، إن أصاب أحدهما مكروه سأقتلكم في الحال.

ثم أمر البقية أن يتبعوه، نادته إيلينا سريعًا قبل أن يرحل هو وحراسه، اقترب منها نعمان منتظرًا سؤالها:

- إلى أين أنت ذاهب نعمان؟! ولماذا تأخذ الحرس؟

ثم تنحنحت لتكمل بحرج:

- وأين هو غيث؟

أجابها نعمان بعجالة:

- ستكون هناك معركة كبيرة اليوم في إحدى ممالك المسلمين ويجب أن نتحضر لها، لقد خدعنا الشياطين وقدموا موعد الهجوم وأنا أحتاج كل جندي أو حارس في المملكة، أما عن غيث فهو معي لا تقلقي عليه.

ثم انطلق وخلفه حراسه، وقفت إيلينا تنظر حولها بذعر ولكنها طمأنت نفسها بوجود قائد الحرس ضخم الجثة واثنين معه، «مؤكد كافيان»، رددتها بهمس مضطرب، ثم خرجت نحو الحديقة تجلس تحت إحدى الأشجار وهي تفكر فيما آلت إليه الأمور، خرج قائد الحرس من القصر يناديها وحين أجابته وجدته يقف أمامها اختض جسدها فاعتذر لها وهو يخبرها:

- أنا سأقف خارج القصر سيدتي، والحارسان الآخران يقفان على البوابة الداخلية، إن احتجتِ شيئًا فناديني على الفور.

أومأت برأسها فتركها واختفى، لحظات مرت عليها وهي تتأمل الزهور المتناثرة حولها فسمعت صوت تحرك أوراق الشجر بشكل ملحوظ، انتفضت مذعورة فوجدته يقف أمامها يرفع كفيه قائلاً:

- لا تخافي أنا من المملكة وأعمل هنا.

وضعت كفها على صدرها تريد تهدئة دقات قلبها التي تقرع مثل الطبول، ولكنها ضمت عينيها بريبة وهي تسأله:

- ولكني لم أرك من قبل؟

ابتسم الشاب الوسيم ابتسامة جذابة وهو يقول:

- وأنا لم أركِ من قبل، أنا آتي كل يوم لأهتم بأزهار الحديقة وشجيراتها، وأنتِ لم تكوني هنا!

تنهدت براحة وهي تقول:

- نعم لقد أتيت من يوم واحد ولم أخرج للحديقة إلا ليلة أمس.

ثم عادت تجلس في مكانها، وجلس الشاب بجوارها فنظرت إيلينا له بتعجب وهي تتفحص ملامحه تحت أشعة الشمس، ابتسم لها ببشاشة وهو يتساءل:

- لمَ تنظرين لي بتعجب هكذا؟

أجابته وما زالت تسلط نظرات عينيها على وجهه الوسيم:

- أنا لم أرَ في حياتي جنيًا وسيمًا مثلك.

رفع حاجبه بعجرفة قائلاً:

- الإنسية معجبة بالخادم من أول نظرة.

تنحنحت بحرج وأدارت وجهها معتذرة فلاحقها بالقول:

- كنت أمزح معكِ، لا تغضبي.

هزت رأسها نفيًا وهي تزفر فأكمل:

- تشعرين بالضيق؟

أجابته بحزن:

- نعم، فلا أعلم أين ذهب الجميع وتركوني في هذا المكان بمفردي.

تلهّف قلبه عليها، وسألها:

- ما اسمك؟

أجابته وهي مازالت تحني رأسها بألم:

- إيلينا ذات الحظ العثر.

ابتسم على إطلاقها لقبًا كهذا على نفسها وأكمل:

- حسنًا، انظري إليّ يا إيلينا ذات الحظ العسر.

رفعت رأسها تبتسم له فبادلها الابتسام قائلاً:

- من أجل هذه الابتسامة الساحرة سأصحبك في جولة.

تهلل وجهها سعادة ولكنها عادت تزم شفتيها قائلة:

- ممنوع أن أخرج من هذا القصر.

أمسك كفها برقة بين كفيه ثم غمز له بعينه قائلاً:

- لا تقلقي لن يلاحظ أحد اختفاءكِ.

وقفت بسعادة بالغة تمد له يدها، وقبل أن ينتقل بها سألته:

- ما اسمك؟

أجابها بابتسامة قبل يختفي من الحديقة:

- اسمي راكان.

وقفت صفوف جيش المسلمين أمام أسوار المملكة الكبيرة في وضع الدفاع، ينظرون نحو الشياطين الزاحفين عليهم بقيادة ناصور وسنجاب،

وعلى رأسهم يحلق يوناس، مجموعات كبيرة من المَرَدة ذوي الأجسام الكبيرة والضخمة يترأسهم ناصور، ويترأس سنجاب المجموعة الأخرى التي تتكون من الغيلان ذوي الأجسام اللزجة والمقززة، رائحتهم الكريهة أقوى سلاح لديهم ضد المسلمين! تقدموا نحوهم بنظرات نصر مؤكد ليهزوا صفوفهم بالرعب فرائحة الموت تقترب منهم كلما اقترب هؤلاء الشياطين، وبالفعل اهتزت صفوفهم بالرعب الشديد الذي ازداد مع وجود يوناس مع فئة الشياطين، أشار كل قائد من المجموعتين لجنوده فبدأوا بالركض عند كلمة واحدة، «هجووووم»، اشتبك الجيشان في لحظات وتوغل ناصور يبحث عن ضالته وسنجاب يفعل بالمثل، فحين يجد نعمان سيجد معه الإنسي، تركهما يوناس وقاد المجموعتين يأمرهم بالقتال في كل اتجاه، بدأت صفوف المسلمين في الانهيار بشكل ملحوظ ومقاومتهم ضعفت للغاية فأصبحوا يقعون صرعى في دقائق معدودة، فيوناس يقوم بعمله على أكمل وجه! بينما صفوف الشياطين تزداد قوة وبأسًا وثقتهم تزداد مع ارتفاع عدد ضحايا المسلمين، دقائق أخرى وشعر قائد المسلمين أنهم سيُهزمون شر هزيمة فحرص على عدد الأرواح القليلة المتبقية التي مازالت على قيد الحياة، ثم نظر نحو يوناس نظرة أسى واحتقار على ما فعله بهم وصرخ بجنوده:

- انسحاااااااب.

لحظات واختفى كل جنود المسلمين هاربين من المعركة تاركين خلفهم المملكة خاوية على عروشها، هلل الغيلان والمَردة بالنصر الساحق بينما ظل قادتهم يبحثون عن نعمان وغيث ولكنهم لم يجدوا أحدًا منهما! تركهم يوناس وذهب بعد أن حياهم على الانتصار الكبير وشكروه في المقابل على وقوفه بجانبهم بهذا الشكل المبهج، بعد أن اختفى يوناس، زفر ناصور بغضب قائلاً:

- هذا الجبان الدنس لم يجرؤ على مواجهتي.

نظر سنجاب حوله بفرح شديد ولكنه تعجب أمرًا قاله لناصور:

- الغريب في الأمر أنهم لم يتركوا مصابًا أو قتيلاً خلفهم.

أجابه ناصور وهو يدلف داخل قصر الملك أبا محرز:

- لا توجد غرابة في الأمر، فهذا طبع المسلمين لا يتركون خلفهم لا جريحًا ولا جثمانًا لقتيل حتى لا نحرقهم.

اعتلى ناصور عرش الملك أبا محرز وهو ينظر حوله بفخر كبير، لقد انتصر على أكبر قبائل المسلمين عددًا وجعلهم يهربون من أمامه كالجبناء، والفضل الأكبر لابن سليل الجان، سأله سنجاب وهو يجلس على مقعد أمامه:

- ماذا سنفعل في مهمتنا؟

نظرات ناصور الخبيثة احتدت وهو يقول:

- يجب علينا قتلهم، ولكن اتركهم يستمتعون باستسلامهم المخزي، ودعنا نستعد للمعركة الأخيرة والحاسمة.

دلفت روهان داخل القصر تتبعها زمردة قائلة:

- الحمد لله لقد مرت الأمور بسلام.

أجابتها روهان وهي تتمدد على الأريكة الكبيرة:

- نحمد الله يا زمردة أننا استطعنا المساعدة.

قهقهت زمردة عاليًا وهي تقول:

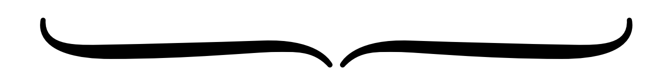
- أنتِ خبيثة جدًا يا روهان، حصلتِ على ما تردين من نعمان دون أدنى مجهود، فقط بضع دموع كاذبة.

اعتدلت روهان تنظر نحوها بغيظ ثم لكزتها قائلة:

- لم تكن كاذبة أيتها السخيفة.

تجمدتا مكانهما عند دخول كبير الحراس قائلاً:

- لقد اختفت السيدة إيلينا منذ الظهيرة ولم نجدها إلى الآن!!



الفصل الثاني عشر

توقف راكان أمام بيت صغير مصنوع من سعف النخيل مثبت فوق جبل ضخم يكسوه العشب والأشجار ولا يوجد على مرمى البصر سوى هذا البيت الريفي القديم، ترددت للحظات قبل أن تدخل معه فتوقف راكان أمامها ينظر لها ببراءة ويزم شفتيه قائلاً:

- ألم يعجبك المكان؟

هزت رأسها نفيًا وهي تقول:

- لاااا المكان أكثر من رائع راكان، أنا فقط قلقة من أن نتأخر وتصاب خالتي بالفزع.

نظر حوله بريبة ثم بصوت منخفض أخبرها:

- دعينا ندلف للداخل وسوف أشرح لكِ كل شيء.

ثم أحنى رأسه بألم قائلاً:

- إلا في حالة أنكِ ما زلتِ لا تثقين بي؟

أمسكت بكفه وهي تنظر حولها بانبهار:

- لا يا راكان أنا أثق بك فقلبي يحدثني أنك جني صالح.

ابتسم لها ثم جذبها برفق للداخل.

لمعت عيناها بسعادة وهي ترى المنزل بروعته ودفئه يخطف الأنفاس، أخرج راكان أحد المقاعد ودعاها للجلوس عليه وجلس أمامها قائلاً:

- لقد استدعاني بني النعمان وأخبرني أن آتي بكِ إلى هنا لأحميكِ من الشياطين.

شهقت إيلينا قائلة:

- لن أعود للقصر مرة أخرى؟

نفى الأمر سريعاً:

- لا يا إيلينا، ستعودين ولكنكِ ستضطرين للمكوث هنا لبضعة أيام حتى تنتهي الحرب وأنا سوف أعيدكِ للملكة، هذه هي أوامر بني النعمان.

ضيّقت عينيها بتركيز قائلة:

- لماذا لم يخبرني إذًا؟

اقترب منها ينظر نحوها بعينين تلمع صدقًا:

- هناك جواسيس في القصر يا إيلينا وهم من أخبروا الشياطين بموهبتك، لم يكن ليجازف بإخباركِ بالأمر وسط القصر.

وكأنه علم ما يدور بعقلها فأسرع بالقول:

- وتقديم ميعاد الحرب ومفاجأة الشياطين له جعلته لا يستطع الانتقال بكِ لمكان آمن يخبركِ فيه أنه يجب أن تمكثي معي هنا لعدة أيام.

اطمأن قلبها، فكلامه منطقي للغاية، ثم «إنه لطيف وجميل وإضاءة عينيه بالرغم من اختلافها ولكنها ليست خطيرة أبدًا»، هكذا حدثت نفسها وابتسمت في وجهه برقة بالغة جعلته يبادلها الابتسام قائلاً:

- أنتِ حقًا جميلة جدًا حين تبتسمين يا إيلينا.

أمسك كفيها يداعبهما بإبهامه مما جعل القشعريرة تسري بجسدها، ثم قال لها:

- هل تريدين تفقد المكان بالخارج؟

سألته بحيرة وهي تقوم لتفتح النافذة وتنظر نحو الشمس التي قربت على الاختفاء:

- ما هذا المكان الساحر؟

وقف خلفها يستنشق عطرها الأخاذ، وللحظات لم يستطع النطق فالتفتت نحوه بتعجب فحاول السيطرة على صوته المرتجف وهو يجيبها:

- ترانسيلفانيا، قرية عطية، والمعروفة محليًا باسم «أتيها»، رومانيا.

رفعت حاجبيها بدهشة:

- واو هذا رائع يا راكان، كنت أتمنى أن أزور رومانيا من سنوات.

ثم اقتربت منه بهمس:

- تمنيت أن التقي بمصاص دماء.

ثم أطلقت ضحكة عالية جعلت جسده يرتجف بالرغبة، ولكنه لا يستطيع المساس بها الآن سينكشف كل ما خطط له، يجب عليه أن يتحمل، لم يجارِ مزاحها واستأذن منها قائلاً:

- سأذهب لأحضر بعضًا من الطعام يا إيلينا حتى لا تموتي جوعًا.

اختفى من أمامها وتركها تُردد بمزاح :

- يبدو أنه مصاص دماء.

زفر راكان بضيق فهو يشعر أنه مكبل أمامها، لم يختبر هذا الشعور يومًا، دائمًا كان يحصل على ما يريده في الحال، عاد لهيئته الشيطانية وكأنه كان مسجونًا داخل هذا الجسد الهزيل بالنسبة له، جلس قليلاً يفكر قائلاً:

- يجب عليّ أن أجعلها تحبني بشدة، ولن أحصل عليها إلا أمام ناظريه وهو مصفد ومكبل بالسلاسل.

ابتسم ابتسامته الشيطانية وهو يتخيل إحساس العجز على وجه يوناس.

دخل نعمان على الملوك السبعة مجتمعين يُلقي عليهم السلام ويتخذ أحد المقاعد مجلسًا له، نظر له والده بفخر أبوي فهو لم يخيّب ظنه أبدًا طوال حياته، بينما دعوات التوفيق والنجاح وكلمات الشكر والمديح لفعله انهالت عليه من باقي الملوك، وآخرهم أبا محرز الذي أثنى عليه قائلاً:

- لا أستطيع ببضع كلمات أن أفيك حقك بُني، فلولا خطتك لكنا فقدنا كثيرًا من الأرواح اليوم، أجابه نعمان بامتنان:

- الشكر لله أيها الملك العزيز، لقد فعلت ما يجب عليّ فعله، الجنود الآن بخير ولا توجد هناك إصابات خطيرة ولا يوجد قتيل واحد بفضل الله.

حمد الجمع ربهم بينما أردف نعمان:

- الآن السبعة ممالك مجتمعون ضد الشياطين، ونقطة لصالحنا أنهم ما زالوا لا يعرفون بالأمر، هم يظنون الآن أنهم حصلوا على الأربعة ممالك الأضعف بيننا ولن يستمر هذا الأمر في الخفاء كثيرًا، فالممالك بها أكثر من جاسوس للشياطين.

سأله أحد الملوك بغضب:

- هل تعرف هؤلاء الجواسيس الملاعين؟

هز نعمان رأسه إيجابًا وهو يجيبه:

- نعم أعرف بعضًا منهم، ولكنني لا أريد قتلهم الآن أريدهم أن يخبروهم بما أريد أنا أن يصلهم، ولهذا أقول لكم إن إخفاء الممالك السبعة هكذا لن يستمر وقتًا طويلاً سيعرفون بالخدعة عاجلاً.

سأله والده بقليل من الخوف:

- حسنًا ماذا سنفعل إذًا؟

ثم تنحنح بحرج ليكمل:

- يوناس معهم وهذا السبب الوحيد الذي جعل صفوف المسلمين تهتز يا ولدي، فأنت تعرف مدى قوته، هو يعرف نقاط ضعفنا جميعها ولن يتركوه حتى يأخذوا منه ما يريدون.

زفر نعمان بغضب قائلاً:

- لن يتفوق ولدي عليّ يا أبي، لا تقلق أنا ما زلت بني النعمان.

نظر الملوك بعضهم لبعض وقرر الملك ميمون أن يخبره بحكمهم على يوناس واتفاق جميع الملوك على إهدار دمه، ولكن الملك الأبيض أوقفه بنظرة تحذيرية، فلم ينطق الملك وقرر ترك الأمر الآن، فلو علم بني النعمان سيهتز بداخله، فهو مهما فعل ما زال ولده الوحيد، استأذن منهم نعمان حين سمع روهان تستدعيه داخل المملكة، خرج من غرفة الاجتماعات يتوجه نحوها فهاله مظهرها المرتعب فأيقن أنها علمت، أمسك بيدها وانتقل بها نحو الغرفة المحصنة في المملكة، رفعت حجابها من على رأسها بعنف وهي تهدر به:

- إلى متى ستظل تعاملني مثل الخونة يا نعمان.

حاول أن يقترب منها فرفعت كفها أمامه وهي تصك أسنانها بغضب:

- إياك أن تقترب مني إيااااك.

توقف وهو يزفر بضيق ويعض شفته السفلى:

- لو كنت أخبرتك بالأمر كنتِ سترفضين يا روهان.

اقتربت منه بضع خطوات وعيناها تتوشح بالأحمر القاتم وجسدها ينتفض غضبًا، مما جعل نعمان يشعر بالخوف من أن يصيبها مكروه ولكنه لم يستطع إلا أن يستمع لصراخها المدوي.

- يوم أن راقبتك أنا وزمردة لأعرف بأمرك، ووجدتك تنتقل من هنا إلى هنا تارة مع غيث وتارة مع أبيك وأخيرًا اختفيت دون أن أعرف لك أثرًا ولم تستطع زمرده تتبعك.

حاول أن يمسك بيدها ولكنها حذرته مرة أخرى من لمسها، فأرخى يديه بجانبه وهو يدعو الله أن تتم هذه المواجهة على خير وألا تكون اكتشفت باقي الأمر فهذا ليس وقته أبدا، أكملت روهان بأنفاس متلاحقة وغضب مستعر:

- حين كشفتني أنا وزمردة وجئت بي إلى هنا وأبدعت في دور الغاضب مني وبعد رجاء وبكاء أخبرتني بأمر الحرب وخطتك المهولة في إلقاء تعويذة أمام الشياطين يبدون بها كالأموات وأتقنت دورك جيداً وأنت تجعلني أعرض عليك المساعدة وأنا أترجاك بدموع عيني أن أعاون الأطباء في تطبيب الجرحى.

اقتربت منه خطوة أخرى وهي تضيّق عينيها وكأنها وصلت لحل الأحجية كاملة:

- كل ذلك فعلته عن عمد من بداية مقولتك: أرجوكِ يا روهان لا تقترفي فعلاً أحمق؟! وأنت تعرف جيدًا مدى فضولي وأنني سأنشغل عن المسكينة إيلينا بالركض وراءك وفعلت كل ذلك حتى تدبر لخطفها من قبل الشياطين؟!

رغمًا عنه انفرجت شفتاه بابتسامة حمقاء ولكنه أسرع وبدأ يسعل حتى لا تراه روهان ونظرة الفخر في عينيه أنها وقعت في فخه، فلو لم يشغلها عن إيلينا لكانت ملاصقة لها ولن يستطع وقتها إكمال خطته وإبعادها عن الخطر، اقتربت منه روهان وغيظها يتصاعد وبكل قوة تملكها لكزته بقبضتها على صدره فلم يرتد للخلف قيد أنملة وهذا ما جعلها تغضب أكثر وتحاول مرة أخرى بضربات متكررة وهي تصرخ به:

- أنت أصبحت بلا قلب، تترك ولدك الوحيد تعبث به الشياطين والآن تخطط أن يختطف المسكينة أحدهم ويعلم الله ماذا يفعل بها هذا النجس الآن؟!

أمسك نعمان بيدها الاثنين وهو يشعر بالألم من أجلها فهي رقيقة للغاية وهو لا يريد منها أن تحمل همًا فوق قدرتها على التعامل معه، فبالرغم من سنوات عمرها التي عاشتها معهم ما زالت تقلق وتخاف وترتعب بشكل ملحوظ يجعله يرتعب عليها ويحاول بقدر ما يستطيع أن يبعدها عن المشاكل، نظر لعمق عينيها وهي ما زالت تحاول أن تحرر قبضتها من بين يديه ولكنها عاجزة فهو يقيدها بالكامل، وبصوت حاد قليلاً قال لها:

- توقفي يا روهان أرجوكِ حتى أشرح لك الأمر.

رفعت عينيها تنظر له والشرر ينطلق من نظرتها:

- تريد شرح ماذا؟! أنك خدعتني وألقيت بفتاة مسكينة في براثن الشياطين لتحقق هدفك بالنصر عليهم؟! منذ متى وأنت هكذا بلا مروءة؟

صك أسنانه مع جملتها الأخيرة وأصبح الأمر كثيرًا عليه، لقد أوجعته بالفعل وهي تعلم ذلك، ندمت للحظات على هذا الهراء، هي تحفظ زوجها عن ظهر قلب وتعرف جيداً أنه يؤمّنها ولن يتركها هكذا مع الشيطان بدون رقابة، سحبها

نحوه حتى التصقت بصدره الذي يعلو ويهبط بانفعال غاضب جعلها ترفرف رموشها بخوف، ولكنها ابتلعت ريقها وهي تستمع لكلماته النارية:

- مثلما تذكرتِ جملتي في تحليلكِ الرائع لم تتذكري مقولتي «لا تخافي عليها فهي في حمايتي ولو كانت في جحر عزازيل»، أنا لم أخبرك بالأمر مخافة عليكِ، ونعم أنا أعرفك جيدًا يا روهان لو علمتِ الأمر لكانت خطتي فشلت، ونقطة أخيرة لا تستهيني أبدًا بفتاة كإيلينا فهي تمتلك من القوة ما لا أملكه أنا.

حرر يدها بعد أن انطلق بها لقصره ثم تركها ليغادر ولكنه توقف ليقترب منها مرة أخرى وبحزن بالغ قال لها:

- لن أسامحكِ على ما تفوهتِ به يا روهان.

ثم رفع سبابته ليكمل:

- حتى وإن كنتِ غاضبة.

انتقل نعمان إلى غيث الذي استدعاه بصوتٍ يرتجف غضبًا، وقف نعمان أمام غيث بملامحه الممتعضة يردد وهو يتأفف بحدة:

- لقد أصابكم الغضب اليوم جملة! ما بك ملامحك تقطر كمدًا؟

اقترب غيث منه وهو يشعر أنه سينفجر غيظًا:

- هل كنت تعلم أن راكان هو من أخذ إيلينا؟

تفاجأ نعمان في بادئ الأمر ولكنه ابتسم بخبث قائلاً:
- حسنا هذا شيء رائع، لمَ أنت غاضب إذًا؟

ازدادت حدة تنفس غيث وهو يجحظ عينيه أمام هذا الكائن الذي لا يهتز لشيء أبدًا، وضع نعمان يده على كتفه قائلاً:

- اهدأ قليلاً يا بُني حتى لا تصاب بأزمة قلبية جراء هذا الغضب العارم.

ثم أكمل وهو يتخطاه ليتمدد على الفراش المقابل له قائلاً:

- لن يفرق شيطان من آخر، كلهم أنجاس ملاعين ولكنني فرحت بأنه راكان لسبب هام جدًا، هو لم يخطفها ليسئ إليها، هو يريدها له.

اقترب غيث من نعمان وفكرة واحدة تلوح بعقله أن يضرب رأسه في الحائط المجاور له لعله يهدأ قليلاً ويصبح مثل لوح الثلج الممدد أمامه لا يبالي بشيء وكأنه يتحدث عن شخص آخر غير إيلينا، نهض نعمان من مكانه وهو يرى غيشسيموت غيظًا، فاكمل:

- حسنا أيها الغاضب، راكان يريد الانتقام من يوناس ولهذا قرر هو أن يخطف إيلينا بالرغم من أن تلك التصرفات ليست من اختصاصات أبناء عزازيل ولكن الغرور والحقد تملك منه مثله كمثل أي شيطان أحمق شهواته تتحكم به، ولهذا يريد راكان أن يؤذيه بأي شكل فقرر هو الحصول عليها.

صرخ غيث به ليخرج قليلاً من غضبه:

- وتتحدث بأريحية وكأن شيئًا لم يكن؟

نظر له نعمان بتحذيرٍ أن يرفع صوته مرة أخرى فارتجف غيث من نظراته، ثم لانت نظرات نعمان نحوه رأفة بحاله وقرر أن يريحه قليلاً:

- سأقول لك كما قلت للغاضبة الأخرى.

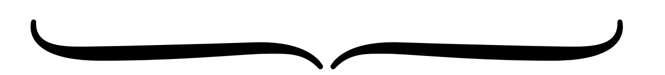
اقترب من أذنه وهو يضع يده على كتفه قائلاً:

- لا تستهن أبدًا بقدرات إيلينا.

أجابه غيث بصوتٍ يرتج من الخوف عليها:

- ولكن إيلينا لا تعرف أن اختطافها عن خطةٍ منا، ولا تعرف راكان وما ينوي فعله، ومن المحتمل أن تتأثر به.

ابتسم له نعمان وهو يغمز له ثم اختفى من أمامه وتركه يتجرع الحيرة والخوف عليها.



الفصل الثالث عشر

دخل ناصور يتبعه سنجاب يقفان أمام عزازيل الجالس على عرشه ينتظرهما، ظهرت الفرحة جلية على وجوههم بنصرهم واستيلائهم على ممالك المسلمين الأضعف، لم يتبق سوى القليل وتصبح أرض المسلمين كلها ملكهم، بدأوا بسرد ما حدث وقت المعركة وانهالوا بالمدح والثناء على يوناس الذي لولاه لما استطاعوا الانتصار بهذه السهولة، أوقفهم عزازيل بإشارة من يده عند دخول يوناس، ثم بإشارة أخرى صرفهم من أمامه فانصرفوا وتركوه هو ويوناس بمفردهما، ترجل من عرشه يقف أمام يوناس يتفحصه بعينيه بينما يبادله الأخير نظرات واثقة، سأله وهو ما زال ينظر لعينيه بتركيز تام:

- إذًا لقد خُنت أهلك وعشيرتك وممالك المسلمين أجمع؟

أجابه يوناس ولم يحد بعينيه عنه:

- فعلت ما أراه صحيحًا.

أمسك عزازيل بيده ثم انتقل به للملهى الليلي الذي قصده مع لاقيس من قبل، توقف أبناؤه عما يفعلونه فأشار إليهم أن يكملوا ولا يهتموا لأمره، وبالفعل عادوا لأعمالهم وانتقل بعضهم لأماكن أخرى بينما ظل عزازيل يمسك بيد يوناس الذي لم يفهم لماذا جاء به إلى هنا؟! أشار له عزازيل نحو أحد الرجال الذين يجلسون على بار كبير يحتسي الخمر ويلف صدره بلفافة بيضاء يظهر طرفها

من فتحة قميصه، وتجلس بجواره امرأة ثلاثينية ترتدي ثوبًا أحمر اللون يلتف على جسدها بإتقان ويُظهر من مفاتنها أكثر مما يُخفي، عرف يوناس الرجل على الفور ولكنه لم يُظهر شيئًا لعزازيل وهو يسأله:

- ماذا به هذا الرجل؟

التفت نحوه يرمقه بنظرة استخفاف قائلاً:

- أظنك تعرفه جيدًا، لا تدّعي الجهل يا يوناس، أنا لست تلميذًا مثلك.

رفع يوناس زاوية فمه بتهكم واضح وهو يقول:

- لم أسألك من هو، ولكني سألت ما به يا عزازيل؟

صك أسنانه وغضبه بدأ يتصاعد ولكنه تحامل على نفسه واقترب منه يتفحصه قائلاً:

- عرفت أنك من وسوست للفتاة لتقتل هذا الرجل، ولكن يا للعجب لم يمت، والأمر الأكثر دهشة أن الفتاة سلمت نفسها للشرطة بعد أن أنقذه أحدهم ونقله للمشفى.

رفع يوناس كتفيه بلا مبالاة وهو يردد:

- وما علاقتي بالأمر؟ أنام حقيقة لا أفهم منك شيئًا؟

تجاهله عزازيل وانتقل به لمكان آخر، دخل غرفة الاجتماعات الرئاسية الخالية وقال له:

- هذه الغرفة كنت متواجدًا بها أنت ومطرش ولدي، وقد قام بما عليه فعله من تحريض على الحرب والقتل والتشريد وقرارات جميعها تصب في مصلحتي، ولكن الغريب في الأمر أن القرارات كلها لم تنفذ لسبب ما خفي؟ ثم وضع يده على كتفه ووقف خلف أذنه هامسًا:

- هل تعرف السبب يا يوناس؟

التفت يوناس نحوه بنظرات حادة وصوت مروع:

- أنا أشم رائحة اتهام لي؟

لم يجبه عزازيل وانتقل للمكان السري الذي يجتمع فيه تسعة من القوم يحضرون مطرش، أشار عزازيل نحو المكان قائلاً:

- هذا المكان أقيم من سنوات كثيرة جدًا والتسعة أشخاص الذين يستدعون مطرش ناهز عمرهم التسعين عامًا ومن قبلهم كان آباؤهم وأجدادهم يستدعونه في نفس المكان الذي احترق بالكامل بعد أن قُبض على التسعة أشخاص بتهمة الشعوذة وإثارة الفتن، ويا للعجب أن هذا الأمر لم يحدث إلا بعدما جئت مع ولدي إلى هنا؟ أفلت يوناس يده بغضب قائلاً:

- واجهني بما تقصده يا عزازيل وكف عن اللف والدوران.

وضع كفه على رأسه وانتقل به لبيت الحماة وكنتها، أومأ عزازيل برأسه نحو العائلة المجتمعة أمامه يجلسون حول الطاولة ويضحكون ويتسامرون، ضم عزازيل حاجبيه قائلاً:

- أخبرني داسم أن هذا الزوج طلق زوجته بعد أن ضربها ضربًا مبرحًا وكان السبب هذه الأم التي تجلس بجوار كنتها ويتضاحكان سويًا! ترى ماذا حدث لينقلب الأمر هكذا بعد زيارتك لهم مع داسم؟

لم ينتظر إجابته وانتقل به لمملكته وفي ثوانٍ رفع يده بحركة سريعة ليكبله بالسلاسل من رقبته لإخمص قدميه ثم بحركة أخرى جعل القيود تسحبه وتلصقه للحائط الكبير، ضحك يوناس بصوتٍ عالٍ جعل عزازيل للحظة ولكنه تماسك سريعًا وهو يقترب منه قائلاً:

- أظننت أنك تستطيع أن تخدعني يا يوناس.

لم يُجبه، فكرر كلماته بصوت جهوري مرتفع جعل الشياطين تأتيه على الفور، صرفهم جميعًا بغضب عارم ووقف أمام يوناس الذي لم تفارق ابتسامته شفتيه، يتوعده قائلاً:

- سأقتلك شر قتلة إن لم تخبرني عن سبب مجيئك هنا؟

أجابه يوناس بعينين لامعتين:

- الغضب أيها الرجيم، خطيئتك الكبرى التي تسيطر على انفعالاتك، لا تجعل خطيئتك تتحكم بك فأنت تعرف جيدًا

أنك لن تستطيع قتلي.

نفث عزازيل النيران من فيه، وصعد يجلس على عرشه ينظر نحو يوناس المكبل قائلاً:

- هل تعرف ماهي الفضيلة الوحيدة التي احتفظت بها وأنا أُطرد من الجنة؟!

لم ينتظر إجابته وأكمل وهو يتطلع نحوه:

- الصبر، الصبر يا يوناس هو الفضيلة التي ما زلت أتحلى بها، لو أردت قتلك لفعلتها منذ زمن بعيد ولكني أريد ما هو أكبر من ذلك وصدقني سأحصل عليه آجلاً أو عاجلاً.

ردد يوناس بعضًا من التعاويذ للحظات وسقطت السلاسل التي تكبله إلى أشلاء، جحظت عينا عزازيل بدهشة فلم يتوقع أنه يستطيع التحرر، رسم يوناس ابتسامة زهو وتفاخر وهو يقترب من عزازيل قائلاً:

- لا تستهن أبدًا بقدرات أعدائك عزازيل.

قرّب عزازيل وجهه منه يبادله ابتسامة ساخرة وهو يقول:

- ومن أخبرك أنني بلا خطيئة أو أنني من صنوف الملائكة؟

لم ينتظر رده، ولوّح له قائلاً:

- سنلتقي قريبًا يا عزازيل ولا تنس أنني يوناس حامل كتاب أسرار الجان.

نظر عزازيل نحوه بعينين تشتعلان غضبًا لم يبالِ بها يوناس وتركه واختفى، استدعى عزازيل راكان بصوت ناري مرتفع وهو يتوعد يوناس أن يذيقه العذاب الأليم قبل موته.

مر يوم كامل لم يفارقها فيه راكان، تنزها سويًا في القرية وسط الأشجار والحدائق الخلابة، شعرت إيلينا بالارتياح الشديد فقد كانت تحتاج كثيرًا لمثل هذا التغيير، جلسا سويًا تحت إحدى الأشجار وتمددت هي وسط الحشائش تنظر نحو السماء الزرقاء، تنهدت بهدوء وهي تشعر بالسكينة وراكان يجلس بجوارها يتأمل وجهها الساحر، ثم تجهّم وجهها حين تذكرته، تمدد راكان بجوارها ثم استند على ذراعه ينظر لها قائلاً:

- لماذا تجهّم وجهكِ فجأة هكذا؟

أدارت وجهها نحوه قائلة:

- تذكرني كثيرًا بيوناس.

ضم حاجبيه فأكملت:

- تعاملني بلطف ورقة كما كان يعاملني.

ثم اعتدلت جالسة وهي تضع كفيها على وجهها بحزن قائلة:

- لقد خذلني يا راكان.

اعتدل راكان أمامها ثم أمسك بكفيها يبعدهما عن وجهها وهو ينظر نحوها برقة بالغة قائلاً:

- أنا لن أخذلكِ أبدًا يا إيلينا.

نظرت نحوه بحيرة شديدة وهي تتساءل ماذا يحدث معها، لقد بدأت تشك أنها لا تجذب نحوها سوى الجان! رفعت زاوية فمها بابتسامة وهي تردد في عقلها: «إلا غيث»، انتفض جسد راكان فجأة حين استدعاه عزازيل، وشعرت إيلينا بالاضطراب قليلاً ثم سألته:

- ماذا يحدث؟!

فأجابها وهو يتنقل بها للمنزل:

- سأغيب قليلاً، لا تقلقي.

ثم رفع سبابته بتحذير قائلاً:

- لا تبرحي مكانكِ أبدًا.

أومأت برأسها، وبعد أن اختفى أخرجت الفلوت الخاص بصفوة وقررت أن تعزف مقطوعتها كاملة في هذا المكان الهادئ والخالي.

تحوّل راكان لهيئته وانحنى أمام عزازيل بإجلال قائلاً:

- أمرك يا سيدي.

تحوّل عزازيل لجسد يماثل راكان في الحجم ثم نزل من فوق عرشه وشعوره بالسخط والحنق يشتد بشكل ملحوظ مما جعل راكان يشعر بالقلق فهو لم يره بهذا الغضب الشديد من قبل! تَوَغَّرَ صَدْرَهُ وقال بفحيح كالأفعى:

- هذا المسمى يوناس وجب عليه أن ينال من التنكيل والوجع ما يستحق.

تعجّب راكان من طلبه فاعتدل في وقفته وهو يضم حاجبيه قائلاً:

- لم تكن هذه أوامرك من قبل، لقد حذرتنا أن نشعل غضبه وأمرك

هذا سيجعله أكثر من ساخط.

صاح به عزازيل قائلاً:

- أنا أعلم جيدًا ما أمرتك به من قبل.

ثم شد قبضته بقوة ليردف:

- ابن الإنسية يتحداني ويجب أن يكون جزاء كل من تسول لنفسه أن يتحداني أن ينال عذابًا عُضَالاً، قَاسيًا ومُوجعًا.

أجابه راكان بطاعة تامة وابتسامة نشوة زينت وجهه، وقف عزازيل أمامه محذرًا:

- أريدك أن تذيقه المرار والفقد والبأس الشديد، ولكن لا

أريدك أن تقتله، فهمت؟

تحيّر راكان من أمره، فقال له عزازيل:

- أريد أن أستمع منه لكلمات الإذلال والخضوع وأن يعطيني محتوى الكتاب بملء إرادته، بعدها هو ملكك تستطيع أن تفعل به ما تشاء.

هز راكان رأسه بمسرة وهناء وهو يتخيّل ما يستطيع فعله بيوناس، عدوه اللدود منذ أن وُلد وهبته معه.

جلست روهان تبكي بندم على ما اتهمته به، وزمردة تجلس بجوارها تحاول أن تهدئها ببضع كلمات تتمنى أن تريحها بها قليلاً، ولكنها لن تشعر بالراحة إلا إن غفر هو لها، تكاد لا تصدق أنها اتهمته بقلة النخوة والخساسة! أجهشت بالبكاء مرة أخرى فأوقفتها زمردة بنفاد صبر:

- توقفي يا روهان لم أعد أحتمل بكاءك.

احتدمت نظرات روهان وهي ترفع وجهها نحوها قائلة من بين أسنانها:

- إذًا انصرفي يا زمردة واتركيني بمفردي.

تأففت زمردة قائلة:

- للأسف الشديد لا أستطيع، لقد أصبحتِ قدري ولا أستطيع التخلص منكِ.

رغمًا عنها ابتسمت وهي تجفف دموعها وتنهرها:

- حمقاء وسخيفة.

بادلتها زمردة الابتسام قائلة:

- لا يوجد هنا بلهاء رعناء غيركِ، يا من تبكين منذ ساعات على نعمان الذي إن زفرت دمعة واحدة من هذه سينحني أمامكِ ويترجاكِ أن تتوقفي.

توجع قلبها وهي تتنهد قائلة:

- لقد استدعيته أكثر من خمس مرات منذ البارحة ولأول مرة يفعلها يا زمردة ولا يستجيب لي.

ضمت زمردة حاجبيها ووقفت والدهشة تعتلي ملامحها قائلة:

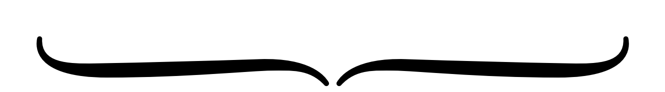
- زيتون بالخارج يستأذن للدخول!

وقفت روهان ترتدي حجابها سريعًا قائلة:

- حسنًا دعيه يدخل يا زمردة.

ثم استعاذت بالله بقلق شديد فهو لم يأتِ لهم من قبل إلا إذا كان يحمل نائبة.

دخل زيتون على استحياء يعتذر عن مجيئه المفاجئ ويخبرهما أن نعمان مَن بعثه ويريد منهما يحملا معهما كل ما هو هام ويرحلا معه لينقلهما إلى مكان آمن!



الفصل الرابع عشر

انتقل يوناس لمكان يحبه كثيرًا ويجعله أكثر هدوءًا، جلس على أعلى قمة «إفرست» وهو يتذكر أنه كان هنا منذ عدة أيام، عندما سيطر عليه شعورٌ بالذنب العظيم نحو الفتاة التي جعلها تقتل رجلاً، عاد بذاكرته، حين شعر بالخسة والدناءة عندما امتهن مهنة الشياطين الأنجاس، هؤلاء الأنذال الذين لا يبالون سوى بالسيطرة على أكبر عدد ممكن من البشر ليحقق عزازيل وعده بالانتقام، انتقام من مخلوق خلقه الله بيده ليعمّر الكون ويصبح لديه الاختيار للعبادة والطاعة أو المعصية والكفر، اختلاف وشقاق ونزاع بين البشر على التكاليف والعبادات هل هم مسيّرون أم مخيّرون؟! سؤال أبدي لن يعرف أحد إجابته إلا حين تقوم الساعة، توقف يوناس وكلمة اختيار تتردد بعقله ويتردد صداها بقلبه وكل جوارحه، وقف يتساءل بصوت كاد أن يدك الجبل دكًا:

- هل يجب عليّ الاختيااار؟

وحينها تلقى الإجابة من صوت كان آخر الأصوات التي يتوقعها على الإطلاق:

- يجب عليك الاختيار ما بين درب الحق والسيطرة على قوى الشر وبين الاستعباد لتلك القوى مقابل القوة والسيطرة والهيمنة على نفوسٍ ضعيفة ونهايتك ومصيرك تعرفهما جيدًا، وهذا الوضيع المسمى عزازيل سيتبرأ منك ومن أمثالك عند باب جهنم.

التفت نحو والده بنظراتٍ تائهة وقلب مرتجف، استشعرها نعمان على الفور فصمت قليلاً ليتركه هو من يقرر ما يجب عليه فعله، هو بالفعل يعرف النهاية ولكن شعوره بالقوة يستحوذ عليه ويجعله تابعًا لشهواته،

استدار ينظر للسماء وكأنه ينتظر إجابة شافية تريح قلبه فاقترب منه نعمان قائلاً:

- شعورك بالذنب تجاه خطيئة فعلتها نذير خير يا ولدي، لو تجاهلته سوف تنطفئ نفسك اللوامة وتتحول لنفس أمارة بالسوء ووقتها ستصبح عبدًا مذعنًا وخاضعًا لعزازيل وأبنائه، لن تكون أبدًا مسيطرًا إلا على الضعفاء، إذا كان هذا ما تريد فهو اختيارك يا بُني وعليك أن تتحمل نتائجه.

جلس يوناس يستند على إحدى الصخور يعاني من عقل مشتت وأفكار مبعثرة وقلب ثائر، جلس نعمان بجواره قائلاً:

- عندما علمت بوجودك في أحشاء والدتك وأنك أنت من أنقذتها من الموت المحقق، أيقنت أنك أبدًا لن تكون جنيًا عاديًا، كنت أتطلع دائمًا أن تكون مسيطرًا يا يوناس.

استدار يوناس له ينظر نحوه بعينين جاحظتين فأكمل نعمان:

- نعم يا بُني تمنيت دومًا أن تكون مسيطرًا وقويًا بعلمك وما تحمله بين جنبيك، ولكن أمنيتي وتطلعاتي أن تكون مسيطرًا على الفئة الأقوى وليس الأضعف يا بُني.

بصوت مهزوز ومشاعر متنافرة سأله:

- وما هي الفئة الأقوى؟

أجابه نعمان بعينين لامعتين:

- أنت تعرفها جيدًا يا يوناس.

نظر يوناس أمامه في حيرة فقرر نعمان أن يُنهي تلك الحيرة للأبد، فأطلق سهمًا أصابه في قلبه مباشرة حين قال:

- هل تبحث عن الحقيقة؟

وكأنه انتشله من قاع الظلام، هز رأسه إيجابًا فوقف نعمان يمد له يده قائلاً:

- لقد رأيت ما حدث في الملهى الليلي حين قادتك لاقيس نحو فتاة أخبرتك أنها مسكينة ومغتصبة وقليلة الحيلة.

ضم يوناس حاجبيه بتعجب متسائلاً:

- ولماذا لم تمنعها إذًا؟

أجابه نعمان وهو يرفع كتفيه بلا مبالاة:

- ليست مهمتي إنقاذ البشر من براثن الشياطين، فقد خلق الله لهم عقولاً وأفئدة، ولكنهم يختارون بإرادتهم طريق الظلام والآثام والذل.

نظر يوناس لعمق عينيه بذهول وحيرة قائلاً:

- ولكنني ولدك؟

مد نعمان يده نحوه قائلاً:

- ولهذا جئت أسألك هل تريد معرفة حقيقة أمر تلك الفتاة؟

مد يوناس له يده فانتقل به إلى بيتها وأدخله نعمان لغرفة نومها، جحظت عينا يوناس بدهشة وكاد أن يصاب بأزمة قلبية، من رؤيتها عارية مكبلة اليدين والأرجل وهناك رجل ضخم الجثة يقف على طرف فراشها يمسك بأدوات تعذيب جنسية ويفعل بها ما يفعل، أشار نعمان نحو الفتاة المكبلة في الفراش الحديدي باشمئزاز قائلاً:

- هذه الفتاة حالة لاقيس المفضلة ولهذا اختارتها لك، كانت تعمل خاضعة لمثله من الرجال، وتتقاضى مبالغ طائلة، والرجل الذي جعلتها تحاول قتله كان المسيطر خاصتها وكانت هي خاضعته لعدة سنوات، شعر الرجل أنه يحبها ويريدها له للأبد، فذهب لشركة من شركات التأمين على الحياة ودفع مبلغًا كبيرًا من المال وكان طلبه أن يصبح هذا المال ملكًا لها بعد وفاته، وحين علمت هي بالأمر قامت لاقيس بعملها المبهر وجعلتها تفكر في قتله ولكن دون أن يكتشف أحد الأمر، فدفعت لأحد الرجال المقربين له لأجل أن يقطع مكابح سيارته فيتعرض لحادث ويموت، وتنفق هي مبلغ التأمين، وبالفعل أخذ الرجل المال ولكنه بدلاً من أن يفعل ما أمرته به، قام بإبلاغ سيده بما نوت هي فعله وأخذ منه مبلغًا أكبر مكافأة له.

نظر له يوناس وهو يكاد يُجنّ من الحيرة يتساءل:

- ولكني رأيتها خائفة منه ورأيته يعذبها بشدة؟

أجابه نعمان وهو ينظر نحو الفتاة التي تصرخ باستمتاع:

- وقتها أبلغها أحدهم أنه قادمٌ إليها ولم يمت، شعرت هي بالرعب الشديد من أن يعرف بأمرها وحين وصل إليها بوجهه الممتعض عرفت على الفور أن رجله المقرب خانها، وأنت ساعدتها على محاولة قتله والتخلص منه.

دلّك يوناس جانب رأسه وشعورٌ بالضياع يجتاحه، ثم سأله:

- وكيف نجت من العقاب؟! وهل تركها هو تذهب لغيره هكذا؟

زمّ نعمان شفتيه باشمئزاز قائلاً:

- بعد أن تركتها فرت هاربة وهذا الرجل ساعدها على الاختفاء، وحين حققت الشرطة بالأمر لم يذكر الرجل اسمها لأنه يريد الانتقام منها وقتلها بيده.

أومأ برأسه وهو يكمل:

- وهذا بالطبع عمل الشياطين.

نظر لها يوناس بغضب كبير قائلاً:

- يجب أن تنال عقابًا تستحقه.

أمسك نعمان بيده قائلاً:

- عقابها أن تُسجن في سجن بشري وهناك سيبقى لديها الخيار أن تندم وتعود تائبة أو أن تظل على ضلالها حتى تموت، يجب أن تختار هي مصيرها يا بُني.

أومأ يوناس قائلاً :

- حسنًا سأتدبر أمرها، الآن علينا العودة.

هز نعمان رأسه نفيًا :

- لا يا يوناس، لن تعود الآن.

ضمّ حاجبيه بدهشة فأكمل نعمان:

- أريد أن أعرف معلومات عن الحرب، فهذا الدنس ناصور ومثيله سنجاب لا يتحركان إلا بإذن عزازيل.

حاول يوناس الاعتراض قائلاً:

- ولكنني سأضطر لمصاحبتهما؟

لمعت عينا نعمان وانفرجت شفتاه بابتسامة مسيلة قائلاً:

- وهذا أجمل ما في الأمر، سيقع الملاعين في شرور أفعالهم وتصبح لديك فرصة ذهبية لتصحيح مفاسدهم بين البشر.

بادله يوناس الابتسام قائلاً:

- حسناً، فلنلعب قليلاً قبل أن أعود.

رعشة أصابت جسده عاد بها من بئر ذكريات حديثه مع أبيه حين شعر بنعمان من خلفه وكأنه يأتي دائمًا في الوقت المناسب، ربت النعمان على كتفه قائلاً:

- ما الذنب الذي ارتكبته ثانية لتأتي إلى هنا؟

ابتسم له يوناس قائلاً:

- لا شيء يا أبي، أنا فقط قلق بشأن إيلينا وأبحث عن حل لأخرجها من أيدي راكان الدنس قبل أن يسمم أفكارها، فأنت تعرفه جيدًا فهذه هي لعبته الحقيرة منذ أمدٍ بعيد.

تجاهل نعمان خوفه المستمر على حبيبته وسأله:

- ماذا فعلت مع عزازيل؟

زفر يوناس بضيق وهو يقول:

- تحديته بعد أن كشف أمري.

صك نعمان أسنانه بغيظ قائلاً:

- هذا اللعين لا يثق في نفسه حتى.

ثم نظر نحوه قائلاً:

- يجب علينا أن نؤمن والدتك وخالتك وجدك وكل من له علاقة بنا من الإنس، سيبحث هذا القذر عن نقاط ضعفنا

جميعها لينتقم منا.

سأله يوناس بحيرة:

- وإيلينا يا أبي؟

سأم نعمان من تكرار سؤاله وقلقه على إيلينا فأجابه بضجر:

- أخرج إيلينا من حساباتك يا بُني ستتدبر أمرها لا تقلق.

بعد أن أخرجت آلة صفوة وقبل أن تبدأ بالعزف عاد راكان للمنزل، نظر للفلوت في يدها وضيّق عينيه متسائلاً وهو يشير نحوه:

- ما هذا الشيء الذي في يدكِ يا إيلينا؟

رفعت الآلة أمامه لتجيبه:

- هذه آلة تسمى الفلوت المفضلة لديّ.

اقترب يجلس أمامها قائلاً:

- هل تجيدين العزف عليها؟

هزت رأسها إيجابًا وهي تقول:

- يقولون هذا، هل تريد أن تسمع؟

ابتسم لها بحنو وهو يغمز بعينيه قائلاً:

- أريد بشدة.

بادلته الابتسام وهي ترفع كتفيها قائلة:

- حسنًا، كما تريد.

أغمضت عينيها وبدأت في عزف مقطوعتها الخاصة كتجربة لها، لحظات ووصلت بها لنغمات معينة علمتها إياها صفوة، فتحت عينيها وهي تشعر بهواء ساخن يملأ الغرفة، نظرت نحو راكان فلم تجده جالسًا أمامها، رفعت رأسها عاليًا فوجدته يحلق فوقها ويدور في حلقة خاصه بها، هو الآن في جسده البشري أضعف بكثير من هيئته الحقيقية، رفعت زاوية فمها مبتسمة وهي تكمل العزف، وراكان ينظر لعينيها مباشرة، أشارت له بيدها أن يتوقف عن التحليق ويعود لمجلسه، هبط لأسفل وجلس في موضعه وهي تكمل عزفها، جربت عدة حركات أخرى فوجدته ينصاع إليها بشكلٍ جعل ابتسامتها تتسع عن آخرها،

لم يتبق سوى حركة واحدة ستجعله رمادًا في الحال كما علّمها إياها نعمان، ولكنه لم يأذن لها بقتله بعد، توقفت عن العزف وما زال راكان ينظر نحوها بتيهٍ شديد، ثم فرقعت بأصابعها أمام وجهه فعاد لوعيه سريعًا، سألته ببراءة:

- هِاي، إلى أين ذهبت يا راكان؟

هز رأسه يمينًا ويسارًا قائلاً:

- لا أدري.

توقف وهو ينظر لعينيها بغرابة فوضعت يدها على كفه قائلة برقة متناهية:

- هل أنت بخير يا راكان؟

أمسك كفها يقبله بلطف قائلاً: بخير تمامًا.

ذهب زيتون لمحمود يخبره بما حدث وأن نعمان أمره أن يأخذه هو وأميرة ودانا ابنته وزوجها وينقلهم للغرفة المحصنة.

وافق محمود ولكنه شعر بالقلق الشديد نحو أميرة ودانا فهما لن يوافقا أبدًا على الذهاب لعالم الجن، استأذن زيتون ودلف لغرفة زوجته وفكرة واحدة تلمع بعقله، كتم ابتسامته بشق الأنفس وحاول أن يرسم القلق والفزع على وجهه وهو يقول لها:

- روهان مريضة جدًا يا أميرة.

شهقت أميرة بذعر وتجمعت الدموع في عينيها قائلة:

- ماذاا، ما الذي تقوله يا محمود؟

أعاد عليها مقولته بأسى أكبر فبدأت تبكي وهي تسأله بصوت مرتفع:

- لماذا لم يأتِ بها زوجها إلى هنا، أخبره أن يعيد لي ابنتي يا محمود.

اقترب منها ووضع يده على كتفها قائلاً:

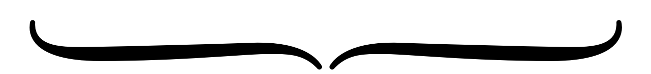
- الحكماء يهتمون بها يا أميرة فلن يعالجها البشر كما يفعلون هم، لقد جاءني مرسال أنها تريد رؤيتنا جميعًا، هل ستأتين معي؟

ترددت أميرة في بادئ الأمر ولكن قلبها انفطر على ابنتها وتخيلتها طريحة الفراش من المرض، وتشعر بالغربة وسط عالم لا تنتمي له وتريد أهالها بجوارها، انطلقت نحو خزانة ملابسها وأخرجت حقيبة صغيرة وضعت بها أشياءها الخاصة وبعض الملابس لها ولزوجها وارتدت ملابسها سريعًا وعيناها لم تتوقفا عن البكاء، كان قلب محمود يتألم لأجلها ولكنه لم يجد سببًا أقوى من ذلك،

لو هناك حربًا كبيرة ستحدث بين الجن والشياطين ويجب عليه أن يؤمنها حتى لا تتعرض للأذى مثل المرة السابقة لن تبالي بالأمر، حمل الحقيبة بيد وحاوط خصرها بيده الأخرى وخرج لزيتون الذي ينتظرهم بالخارج وابتسامته تشق وجهه يكاد أن ينفجر من الضحك، نظر له محمود نظرة تحذيرية وهو يكتم ضحكته هو الآخر فرفع كفه أمامه معتذرًا وأمسك بكفه لينتقل بهم نحو دانا، ورغم استيائها مما حدث وانتقال الجن بها وهذه الأشياء العجيبة، لكنها كانت ممتنة أنها سترى ابنتها الكبرى، لقد ترجاها محمود من قبل أن يجعل أحد الجن ينقلها لتراها ولكنها كانت ترفض رفضًا تامًا وحاولت أكثر من مرة الذهاب لها عبر الخطوط الجوية ولكنها لم توفق سوى مرة واحدة فقط!

احتضنتها بقوة وهي ما زالت تبكي، ففزعت دانا من رؤيتها بهذا الحزن، حاول محمود تهدئتها وشرح الأمر لهما وعلى مضض وافقت دانا للذهاب معهم ولكن عز اعترض على ترك أعماله.

انفرد به محمود وأخبره الحقيقة مما جعله يوافق سريعًا وخاصة ليصبح مع ابنته فلن يستطيع الجلوس في منزله وهو يعرف أن هناك حربًا بين الشياطين والجن وإيلينا معهم.



الفصل الخامس عشر



استدعى عزازيل راكان وناصور وسنجاب بشكل عاجل وسريع، اجتمع ثلاثتهم وبدأ القلق يزين ملامحهم البغيضة، اشتعل جسد عزازيل غضبًا وهو يخبرهم:

- لقد خدعنا ابن الإنسية وأبوه.

نظر سنجاب لناصور بريبة بينما سأله راكان:

- لم أفهم شيئًا يا سيدي؟

تكلم عزازيل بانفعالٍ واضح:

- لم يمت جني واحد من جيش المسلمين، لقد علّمهم يوناس إلقاء تعويذة أثناء القتال تجعلهم يظهرون كأنهم أموات.

احْتَدَمَ غَيْظ ثلاثتهم بينما التفت راكان نحو سنجاب وناصور يسألهما بحدة:

- ألم يتحولوا لرماد أمامكم؟

هز ناصور رأسه نافيًا، مما جعل راكان يقبض كفه بقوة وهو ينعتهم بالأغبياء، تكلم سنجاب بصوت يرتجف:

- المَردة والغيلان يكتفون بوقوع الجنود متأثرين بجروحهم ونحن لم نأمرهم بخلاف ذلك.

أكمل ناصور باستياء شديد:

- لـم يخـطر بـبالـنا أن يخـدعـنا يـونـاس لهـذه الـدرجـة، فـالـجواسـيس أكـدوا لـنا أن يـونـاس مـعنا وبـالـفعل اهـتزت صفوف المسلمين عندما شاهدوه.

تجهّم وجه عزازيل وهو يقول:

- أحمقان! كان يجب أن تلاحظا الأمر وقت القتال.

ثم أشار لراكان:

- هؤلاء الأغبياء لا يُتركون في المعركة القادمة بمفردهم.

انحنى راكان أمامه بإجلال وطاعة فأكمل عزازيل:

- يجب أن يدفعوا جميعًا ثمن فعلتهم، أريد قتل كل فرد في عائلة الملك الأبيض لا تتركوا أحدًا منهم على قيد الحياة ولا حتى الإنسية وأهلها.

ذهب نعمان لمكان سري وبعد فحصه جيدًا والتأكد أنه خال من الشياطين استدعاه على وجه السرعة فأتاه ساهف يحييهً قائلاً:

- كنت آتيًا لك.

اقترب نعمان منه قائلاً:

- أخبرت عزازيل بما أمرتك به؟

هز ساهف رأسه إيجابًا ثم شعر نعمان باضطرابه فسأله:

- مالك قلق هكذا؟

أجابه ساهف بصوت منزعج:

- لقد اجتمع عزازيل بناصور وسنجاب وراكان فور خروجي، ولكني لم استطع سماع ما يخططون له.

ابتسم له نعمان وهو يربت على كتفه قائلاً:

- أنا أحفظ هذا الشيطان عن ظهر قلب فخططه مكررة وتفكيره معروف، فلا تقلق.

ثم سأله باهتمام:

- ما هي أخبار إيلينا؟

هَزَّهُ السّرور وهو يجيبه: لا تقلق، فهي في أفضل حال.

ارتبك ساهف قليلاً وهو يستأذنه للسؤال، فأذن له نعمان، فسأله:

- لماذا جعلتني أخبرهم بخدعة المعركة؟! ألا تظن أن عنصر المفاجأة ستكون نتيجته أفضل؟

رفع نعمان حاجبه بعبث قائلاً:

- لا يا بُني، سوف ننتصر عليهم بجعل الخوف والغضب يتوغل في قلوبهم، اعتمادنا على الغرور وحده لا يكفي.

ثم غمز له قائلاً:

- لا تقلق، فأنا أسبقه بخطوة.

ثم انصرف وهو يؤكد عليه أن يفعل ما أمره به، فساهف من فصيلة الجن الطيار وهو ينفعه كثيرًا في التقصي ونقل الأخبار لقدرته العجيبة على التخفي والانتقال في الهواء بسرعة شديدة لا يقدر عليها سوى فصيلته.

جلس ساهف يبتسم وهو يشعر بالامتنان الشديد لبني النعمان أنه لم يقتله أو يبلغ عنه الملك الأبيض ووقتها سيكون الموت أهون عليه من العذاب الذي سيلاقيه هو وعائلته جراء خيانته، لم يدرك إلى الآن كيف سيطر عليه هذا الشيطان المسمى ناصور ليصبح جاسوسًا له! عاد بذاكرته لعدة أيام سابقة حين أمسك به نعمان وانتقل به نحو غرفة عجيبة تملؤها التعاويذ في مملكته، حاول الإنكار وقت مواجهة نعمان له ولكنه بارعٌ في معرفة الحقيقة، فلم يكن أمامه سوى الاعتراف بأنه جاسوس لدى الشياطين قبل أن يموت اختناقًا بين يدي أقوى عفريت في ممالك المسلمين، تركه نعمان ولكن بشرط أن يصبح جاسوسًا مزدوجًا وسيظل جاسوسًا للشياطين ولكنه لن يخبرهم إلا بما يريده هو، تعجب ساهف في بادئ الأمر ولكنه لم يجد حلاً إلا الانصياع لأوامره، انتفض ساهف حين استدعاه ناصور بشكلٍ عاجل وذهب للقائه سريعًا.

وصل محمود للغرفة المحصنة بصحبة زوجته وابنته دانا وعز، أخذ زيتون زمردة وانطلقا خارج الغرفة حتى يتيح لهم مزيدًا من الخصوصية وخاصة أن دانا وأميرة لا ترتاحان لوجود الجن بينهما، حين دلف الجميع داخل الغرفة، ظل ثلاثتهم يلتفون حولها بذهول تام، غرفة بمساحة شاسعة مقسمة إلى غرف صغيرة بفواصل زجاجية، جدرانها تشع بنور أخضر يصدر عن حروف يلتصق بعضها ببعض بشكل دائري، خرجت روهان من إحدى الغرف تندفع نحو والدتها التي ما إن رأتها حتى بدأت في البكاء، انضمت لهما دانا التي سألتها بذعر شديد وهي تتفحص جسدها:

- ما بكِ يا حبيبتي؟! بماذا تشعرين يا روهان؟

قطبت حاجبيها بتعجب وهي توقفهما قائلة:

- ماذا بكما، أنا بخير تمامًا.

أدركت أميرة خداع زوجها فالتفتت بحدة لتواجهه فلم تجده في الغرفة، كتمت روهان ضحكتها بشق الأنفس بينما قالت دانا بحنق:

- أبي خدعنا حتى نأتي إلى هنا.

سلمت روهان على عز واستأذنت منه وأخذت كلتاهما وخطت نحو إحدى الغرف، دلف الثلاثة للداخل وجلسوا على الفراش بجانب بعضهم البعض،

أخبرتهم روهان بما حدث وأن هذه الغرفة لا أحد يعرف مكانها ولا يستطيع دخولها إلا العائلة المالكة فقط، ولهذا هم في أمان هنا، ثم أردفت:

- لا تقلقا، لن يأتي أحد من الجن هنا سوى نعمان وإن احتاج الملك الأبيض لاجتماعٍ سري فهناك جانب آخر منها مفصولٌ عن هنا تمامًا لنً تشعروا بهم حتى.

اطمأنت دانا وأميرة لحديث روهان فيكفي أنهم لن يتعرضوا لأحد من الجن، ثم ضمتها دانا وهي تحمد الله أنها بخير كما فعلت والدتها بالمثل، لقد كادت أن تموت قلقًا عليها، نظرت دانا لروهان وما زالت ابتسامة الحمد ترتسم على وجهها وهي تبحث بعينيها عن ابنتها متسائلة:

- أين هي إيلينا؟

ارتبكت روهان بشدة وهي تبحث عن كلمات لا تصيب أختها بالهلع، هي لم تتعود الكذب عليها من قبل، ولكنها لن تستطيع إخبارها، مؤكد ستقع ميتة في الحال إذا علمت أن ابنتها مختطفة من قبل الشياطين، حاولت إخراج صوت ثابت من حلقها:

- لا تقلقي عليها، هي مع نعمان.

اختفت ابتسامتها على الفور واحتدمت ملامح وجهها قائلة:

- وماذا تفعل مع زوجكِ بالخارج؟

لم تجد روهان إجابة شافية تريح بها أختها، فقالت:

- ما بك يا دانا، ألا تثقين بنعمان؟

أجابتها دانا على الفور:

- لا يا حبيبتي لم أقصد التشكيك فيه، ولكني أتساءل فقط.

رفعت زاوية فمها بحزنٍ فأختها تثق في زوجها أكثر منها هي، لقد اتهمته اتهامات مخزية على عكس دانا التي توقفت عن القلق فور معرفتها أنها بصحبته، حركت دانا كفها أمام وجه روهان التي ذهبت لعالم آخر وعادت بتنبيه من دانا، سألتها أميرة بقلق:

- ما بكِ حزينة هكذا يا حبيبتي؟

ابتسمت لأمها وهي تهز رأسها نفيًا قائلة:

- لا شيء يا أمي، أنا سعيدة جدًا بوجودكم معي الآن.

لحظات وسمعت صوته يتحدث لوالدها ويطمئن على وجودهم بخير، ركضت للخارج بعد أن أخبرت أمها ودانا أن نعمان أتى ليطمئن عليهم وأكدت دانا عليها أن تسأله عن إيلينا وما هو حالها الآن، وقفت أمامه تنظر له برجاء وعتاب لأنه لم يأتِ وقت استدعائها له،

لم ينظر نحوها وأكمل حديثه مع والدها وكاد أن يختفي من الغرفة نادته روهان بصوتٍ مرتجف فانتقل محمود بينهما بنظراته ثم استأذن منهما ليتركهما بمفردهما، وقف نعمان يشبك يديه ببعضها ويتحاشى النظر إليها قائلاً:

- هل تحتاجين شيئًا؟

اقتربت منه بخطوات سريعة فعاد خطوة للخلف ورفع يده يأمرها ألا تقترب أكثر من ذلك، شعرت بقلبها ينفطر حزنًا من ابتعاده هكذا، لقد أصبح قاسي القلب ولم يعد كالسابق، بدأت تزرف دموع الحزن التي سقطت على وجنتيها كأمطار محملة بالأسى والأسف، حاول أن يتجاهلها ويمضي في طريقه ولكن ما إن تحول بكاؤها لشهقات متتالية لم يستطع أن يجافيها أكثر من ذلك، لقد عاند نفسه ليومين كاملين لئلا يستجيب لها وهو يعلم جيدًا أنها ستحزن وتنتحب طوال خصومتها، دنا منها حتى التصق بها وأخذها بين أحضانه وهو يصك أسنانه بغيظ شديد، فبعد هذه السنوات الطوال ما زال لا يتحمل بكاؤها المرير فهو نقطة ضعفه، توقفت بعد عدة لحظات وهي تغمض عينيها على صدره وتستنشق رائحته التي افتقدتها لساعات طويلة شعرت بهما أنها تعيش بلا قيمة بدونه، وابتعدت عن أحضانه وهي ترفع وجهها نحوه وتضيق عينيها قائلة:

- سامحني يا نعمان.

رفع حاجبه بحنق، فأكملت وهي ترفرف برموشها التي ما زالت رطبة من الدموع:

- أرجووووك.

قبّل جبينها بحنان بالغ وهو يهز رأسه مبتسمًا، وقفت على أطراف أصابعها لتصل لوجنته ثم طبعت عليها قبلة اشتياق جعلت جسده يرتجف بين يديها رغبة وتوقًا لها، وقبل أن يصل لشفتيها سمع صوت أبيه الجهوري يناديه بغضب شديد، اعتذر منها مغادرًا ولكنها أوقفته تمسك كفه قائلة:

- دانا وعز يسألان عن إيلينا وأنا أخبرت دانا أنها معك.

قبّل باطن كفها برقة قائلاً:

- لقد أخبرت والدكِ أن يطمئنهم عليها.

ثم أشار بسبابته إلى قلبها ليكمل:

- أريحي هذا من فضلك يا روهان، أنا أعرف جيدًا ما أفعل.

ثم أحنى رأسه على يمينه وهو يفعل مثلها برموشه قائلاً:

- أرجوكِ.

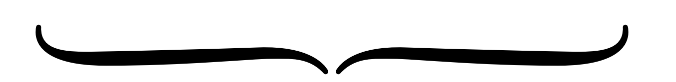
ضحكت بصوت مرتفع على عبثه معها، فعض شفته السفلى وتجهّم وجهه على إطلاقها ضحكة كهذه فوضعت يدها على فمها ورفعت كفها باستسلام جعلته يغمز لها وهو يلوّح مودعًا ثم اختفى.

وقف أمام والده يسأله بقلق:

- ماذا يحدث؟

عاتبه الملك الأبيض على عدم استجابته على الفور فاعتذر له نعمان وأخبره أنه كان يطمئن على عائلة روهان، مرر الملك الأبيض هذا الجزء من الحديث ليخبره عن سبب استدعائه الذي يقض مضجعه، فلقد تشاجر منذ قليل مع باقي الملوك بسبب يوناس وهو يحاول أن يثنيهم عن قرارهم ليمنحوه فرصة أخرى، ولكن لا جدوى فنتيجة التصويت لم تكن لصالحه، شعر بانشقاق قلبه على ولده ثم تحامل على نفسه قائلاً:

- لقد أجمع الملوك على قرار أخذوه منذ فترة، ولكني أجلته حتى أحاول إثناءهم عن الأمر قليلاً، ولكن تأخر يوناس عن طلب الصفح وتقبل عقابًا أقل حدة من الموت جعلهم يصرون على إهدار دمه، وجُل ما استطعت فعله إخفاء هذا القرار حتى أخبرك به.



الفصل السادس عشر



عاد ناصور ورفيقه الشيطاني سنجاب إلى مملكة الملك عبد الله، جلس ناصور على العرش وبجانبه سنجاب وكلاهما يستشيط غضبًا ويلعن كل منهما يوناس ونعمان وكل فصيلة من فصائل الجن المسلم، ضيّق سنجاب عينيه وهو ينظر نحو ناصور قائلاً:

- هل تظن أن هذا النجس علم أننا كشفنا أمره؟

أجابه ناصور وهو يفكر مليًا:

- لا أستطيع أن أجزم بذلك، فهو لم يظهر منذ عدة أيام وأبناء عزازيل لا يعرفون عنه شيئًا منذ آخر لقاء لهم معه.

زفر سنجاب بغيظ قائلاً:

- وما العمل إذًا؟

عيناه بنظرة شيطانية وهو يقول:

- نحن قوة لا يُستهان بها يا سنجاب، لن ينتصر علينا ابن الإنسية وأبوه، سنفعل كما قال عزازيل نختطف عائلته من الإنس ونعذبهم حتى يأتونا طائعين ثم نقتلهم جميعًا.

وبصوت شاذ وآمر استدعي ساهف، انتقل ساهف بأقصى سرعة أمام ناصور ينحني أمامه، أشار له ناصور أن يقف وبعين غائمة أمره:

- اذهب لبيت الإنسية التي كنت تحاول خداعها وأتِ بها هي وأهلها جميعًا.

- سمعًا وطاعة يا سيدي.

قالها ساهف وهو يختفى لينفذ الأمر، عدة دقائق مرت وهم ينتظرون بفارغ الصبر، وتتوالي على عقولهم أسوأ الأفكار الشيطانية فظاعة، عاد ساهف بيدين فارغتين مما جعل سنجاب يقف بغضب يسأله:

- أين هم؟

وقف ساهف مطأطأ الرأس قائلاً بصوت مرتجف:

- لم أجد أحدًا منهم يا سيدي.

همّ سنجاب أن يقوم من مجلسه ويقترب منه وفكرة واحدة تلوح بعقله أن يسحقه في الحال، أوقفه ناصور بإشارة من يده وبيده الأخرى أشار لساهف أن ينصرف على الفور، احتدت نظرات سنجاب نحو ناصور وهو يصرخ به قائلاً:

- لماذا صرفته؟! أنا أظن أنه يخدعنا.

طرق ناصور بحدة على حافة كرسيه ثم بصوت مرتفع استدعى «ظام» الذي أتى على الفور، أمره ناصور:

- اذهب لبيت التي تُسمى إيلينا وعائلتها ومشط المنزل جيدًا واكتشف أمر اختفائهم إن كان من قريب أم من بعيد؟

أطاع ظام سيده ورحل على الفور، عاد بعد عدة دقائق قائلاً:

- لقد غادروا المنزل منذ يومٍ أو أكثر يا سيدي.

صرفه ناصور وهو ينظر لسنجاب قائلاً:

- كنت ستقتل أهم جاسوس لديّ بسبب تهورك واندفاعك.

ثم نظر أمامه بعينين تشعان بالغل والحقد والكره الشديد:

- أقسم برأس عزازيل لن تفلت من يدي يا نعمان، سأجعلك تقبّل قدمي لأقتلك.

ثم وقف يشير لسنجاب قائلاً:

- هيا بنا لساحة الحرب، يجب أن نكثر من الفخاخ وأخاديد النيران حتى نبيدهم عن آخرهم، ستكون آخر حرب للمسلمين.

وقف نعمان أمام والده بملامح جامدة لا تعبر عن شيء، تعجب الملك من ردة فعل ولده الغامضة فسأله وهو يضم حاجبيه بدهشة:

- ما بك يا ولدي؟

أجابه نعمان بهدوء تام:

- أستمع إليك يا أبي.

تحيّر الملك لأمره قائلاً:

- حسناً، لقد انتهيت، ماذا سنفعل إذًا في هذه الكارثة؟

لم يجبه نعمان ونادى بأعلى صوته على وزير الملك فجاءه

الوزير مُلبياً:

- أخبر الملوك الستة أن هناك اجتماعًا سريعًا وعاجلاً الآن في مملكة الملك الأبيض.

انتقل الوزير سريعًا ليفعل ما أمره به، بينما هبط الملك من عرشه ومشاعر غضبه تحتد قائلاً:

- لماذا تريد اجتماعًا عاجلاً بالملوك يا نعمان! أخبرني ما تفكر به في الحال.

أمسك نعمان كف والده يقبلها بإجلال ليمتص غضبه ثم قال له:

- لا تقلق يا أبي ستعرف كل شيء بعد قليل.

استأذن وزير الملك في الدخول فأذن له نعمان فأخبرهم أن الملوك اجتمعوا في غرفة الاجتماعات الخاصة بهم وينتظرونهم هناك، انتقل الملك الأبيض ونعمان لغرفة الاجتماعات، ثم اتخذ الملك الأبيض مكانه على رأس الطاولة المستطيلة بينما فضل نعمان الوقوف بجوار والده، تساءل الملوك عن سبب الاجتماع العاجل ولكنهم توقفوا حين صدع صوت نعمان الجهوري وهو ينادي:

- يوناس احضر في الحال.

نظر الجميع لبعضهم البعض بحيرة شديدة حتى حضر يوناس يقف بجوار أبيه ينحني للجمع إجلالاً وتقديرًا، ابتسم الملك الأبيض على الفور لقد علم أن نعمان خدعهم كعادته، فآثر الصمت وترك ولده يتولى الأمر، وقبل أن يجيب على أسئلتهم التي انهالت عليه، طرق بخفة على رأس الطاولة قائلاً:

- اسمحوا لي أيها الملوك العظام أن أوضح أمر يوناس ولدي، وبعدها أستطيع الإجابة على جميع تساؤلاتكم.

صمت الجميع وهزوا رؤوسهم بالموافقة، وأمسك نعمان بيد يوناس قائلاً:

- ولدي ذهب للشياطين بناء على طلبي، أنا أمرته أن يندس وسطهم لأعرف ما يخططون له، ولولا تعاويذ يوناس في المعركة الأخيرة كنا سنخسر كثيرًا من الجنود.

تساءل أحدهم بريبة:

- ولكن البشري غيث هو من علّمهم التعاويذ؟

تلون وجه يوناس فضغط نعمان على يده بخفة وأجاب الملك بثبات:

- يوناس هو مَن أخبر غيث بالتعاويذ يا سيدي، فأنا لم أكن لأجازف بحياة ولدي وسط الشياطين وأكشف خدعتنا، خاصة وأنني لا أعرف هوية بعض الجواسيس والمندسين في ممالكنا.

قال آخر بخوف:

- ولماذا تخبرنا الآن يا بُني وهنا في غرفة اجتماعات غير محصنة؟

هز نعمان رأسه بعدم اكتراث، فهو يعلم جيدًا خوفهم الشديد على الكتاب وما يحتويه، ولهذا طمأنهم قائلاً:

- لا تقلق يا سيدي، فلقد كشفه عزازيل بعد أن علم بخداعنا له.

ثم رفع كفه أمامهم ليكمل:

- لا تقلقوا جميعًا أنا أؤمن ولدي جيدًا، فلن يستطع عزازيل الوصول إليه.

انفض الجمع وانتهى الاجتماع على إسقاط تهمة الخيانة عن يوناس، بل وحياه الملوك على شجاعته وبسالته واختفى كلٌ منهم لمملكته.

قام الملك الأبيض من مقعده وعيناه تضيئان بالفخر الشديد، دنا من حفيده وأمسك بيده يقربه إليه ثم احتضنه وهو يربت على ظهره قائلاً:

- كنت أشعر أنك لست متمردًا وخائنًا يا يوناس.

ابتسم له يوناس وهو يبتعد عن أحضانه قائلاً:

- كنت متمردًا تائهًا يا جدي العزيز، ولكن ولدك لم يسمح لي أن أتمادى في الأمر.

سمع صوت ساهف يستدعيه كي يخبره بما حدث مع ناصور وسنجاب، فاستأذن نعمان والده وأكد على يوناس أن يعود كما كان، وبعدها اختفى للقاء ساهف.

جلست دانا على الأريكة تتبعها روهان بعد أن أحكمت الغطاء على والدتها النائمة في الفراش أمامهما،

قالت لها دانا وهي تنظر نحو أميرة التي تغط في النوم :

- الدواء جعلها تسترخي أخيرًا، فمنذ أن أتت لم تستطع النوم إلا الآن بعد أن تأكدت من عدم وجود أي جني حولها.

هزت روهان رأسها إيجابًا وهي تسرح في عالم آخر، ضمت دانا حاجبيها ثم أمسكت بكفها تسألها:

- ما بِكِ يا روهان؟! أراكِ دائمًا مضطربة وقلقة.

تنهدت روهان وهي تجيبها:

- الحرب القادمة ستكون حربًا ضارية يا دانا، سأموت قلقًا على نعمان وولدي، كيف لهما أن يحاربا بعضهما البعض.

ربتت دانا على كتفها برفق قائلة:

- لا تقلقي يا حبيبتي، لن تصل الأمور لهذا الحد، أنا واثقة من ذلك.

ضيّقت روهان عينيها بتعجب وهي تنظر نحو أختها قائلة:

- أتعجب كثيرًا من ثقتكِ هذه في زوجي، لا أعرف حقًا هل بعثكِ الله لي في هذا الوقت العصيب حتى تطمئنيني بهذا الشكل المبهر يا دانا؟

رفعت دانا كتفيها بغرور قائلة:

- طوال حياتي وأنا مصدر أمانكِ يا أختي الحبيبة.

ابتسمت لها روهان فسألتها دانا باهتمام:

- أخبريني عن حروب الشياطين والجن.

ثم نظرت حولها لتكمل:

- قصورهم أيضًا مبهرة بشكل خاص وفريد لم أتوقع أن أنبهر بها هكذا.

ثم انفجرت في الضحك، فسألتها روهان عن سبب ضحكها بهذا الشكل، فأجابتها دانا وهي تقترب منها:

- كنت أظن أنني سأذهب لباطن الأرض في بيوت يحوطها الظلام من كل جانب، خربة وتملؤها الرائحة الكريهة.

أوقفتها روهان:

- توقفي يا دانا عن سرد خيالاتكِ القميئة، هل تظنين أنني سأعيش في مكان كهذا؟

تعجبت دانا تسألها باهتمام:

- إذًا صَححي لي معلوماتي، أولاً كيف هو نظام حكم الجن؟

تربعت روهان في مجلسها ثم أجابتها قائلة:

- نظام الحكم ملكي، حيث إن أقوى العوائل تتولى الحكم وهو أمر متوارث ولا توجد دولة للجن تحكم بانتخاب ملكها.

فسألتها دانا:

- وكم مملكة للجن؟

أجابتها روهان:

- هنالك سبع ممالك كل مملكة مستقلة عن الأخرى، ولكن يوجد هنالك جن سيارة لا ينتمون لمملكة وهم كثر للغاية وعددهم يفوق عدد الممالك السبعة بكثير.

رفعت دانا حاجبها بدهشة قائلة:

- لا أفهم شيئًا! وما الفرق بينهم إذًا؟

أشارت لها روهان أن تنتظر قليلاً، وقامت تأتي بكوب من الماء وفنجانين من القهوة وعادت لدانا تناولها فنجانها قائلة:

- الجن السيارة هم أكثر الجن المؤذين للبشر، فمن النادر أن تجدي جنيًا متحضرًا أي من سكان إحدى الممالك يأذي بشريًا لأنه محرمٌ عليهم.

ارتشفت دانا بضع رشفات من قهوتها وهي تنظر حولها قائلة:

- وأين تقع تلك الممالك يا روهان؟

أجابتها وهي تحتسي جزءًا من فنجانها:

- في البحار والجبال، لا توجد مملكة قريبة من مكان عيش البشر، الجن الذين بينكم هم الجن السيارة.

سألتها دانا باهتمام:

- وإلى أي حكم ينتمي هؤلاء؟

قالت لها روهان:

- لا ينتمون لإحدى الممالك كما أخبرتك سابقًا، هم مستقلون بذاتهم ويعيشون داخل جماعات تمتلك قائدًا لها، لأنهم لا يحبون اتباع القوانين ومنهم أقوياء للغاية.

ظهر جليًا على ملامح دانا الاندهاش وهي تستمع لهذه المعلومات التي تعرفها لأول مرة، بالرغم من أن أختها تعيش بينهم منذ سنوات طوال ولكنها لم تجرؤ أن تسألها من قبل عن كيفية عيشها، نظرت روهان بعتب لزمردة التي جاءت تجلس بجوارها رغم تحذيرها لها أن تأتي وأختها مستيقظة لأنها لا تحب الاختلاط بهم، ابتسمت لها زمردة بدون اكتراث وعيناها تلمع بسعادة غريبة وهي تهمس في أذنها:

- لم أستطع الانتظار لأخبركِ هذا الخبر العظيم.

نظرت دانا لروهان بتعجب وقبل أن تتكلم أشارت لها أن تنتظر قليلاً، فعلمت على الفور أن أحدهم بجوارها يخبرها شيئًا ما، فرفعت كفها أمام روهان واستمرت في شرب قهوتها، سألتها روهان بانزعاج وهي تصك أسنانها :

- تكلمي يا زمردة وكُفي عن حركاتك الطفولية هذه.

ابتسمت دانا على دعابتها، فرفعت زمردة كلتا حاجبيها بمرح فزفرت روهان بوجهها مما جعلها تقول:

- حسنًا حسنًا، سأخبرك ولكن تمسكي جيدًا.

ضيّقت روهان عينيها بحنق، فأكملت زمردة سريعًا:

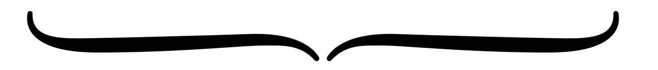
- لقد خدعنا زوجكِ وولدكِ طوال هذه المدة.

تجهّم وجه روهان على الفور فأردفت زمردة:

- زوجك هو من أرسله لعزازيل كي يتقصى لنا أخبار الحرب القادمة، وصفعه على وجهه وما حدث معكما وانتشر في الممالك السبعة كانت خطة مدبرة من كليهما ليتأكد جواسيس عزازيل من الأمر.

انتفضت روهان واقفة بوجه ممتعض وصوت يهتز من الغضب قائلة:

- لن أسامحهما أبدًا على ما فعلاه بي.



الفصل السابع عشر

اجتمع نعمان بغيث وقاصف في غرفة الاجتماعات الخاصة بتخطيط الحروب، توسطهما نعمان على رأس الطاولة بينما جلس قاصف على يمينه وغيث على يساره، ضمّ نعمان كفيه ببعضها قائلاً:

- هؤلاء الملاعين يصنعون أخاديد من نيران لتبتلع جيوشنا ويحشدون المَردة والغيلان من كل حدب وصوب، ستكون حربًا شعواء ولن نستطيع التصدي لهم بمفردنا.

ثم نظر نحو قاصف قائلاً:

- هل تستطيع حشد جيش كبير من مجموعات الجن السيارة؟!

دلّك قاصف جانب وجهه قائلاً:

- سأحاول قدر استطاعتي يا نعمان، فأنت تعرفهم جيدًا لا يخضعون لقوانين أو أعراف وقادة مجموعاتهم متعصبون للغاية فيما يخص الحروب، دعنا نحاول إيجاد حل آخر.

تكلّم غيث بتردد:

- هل أستطيع أن أحاول معهم؟

هز نعمان رأسه نفيًا بيأس:

- لا يستمعون لأحد سوى قاصف، بالإضافة إلى أنني أريدك هنا معي.

وقف قاصف يستعد للرحيل قائلاً:

- حسنًا سأذهب لبعض المجموعات التي صادفتها مؤخرًا وقادتها كانوا على قدر كبير من التعاون معي، سأحاول معهم وسوف أحصل على نتيجة مبهرة إن اقتنعوا بحديثي وطلبت منهم مساعدتي في جمع جيش كبير من باقي المجموعات.

أومأ له نعمان بامتنان قائلاً:

- حسنًا لا تتأخر علينا يا قاصف، فليس أمامنا وقت كبير.

- الله المستعان.

قالها قاصف واختفى ليتم مهمته العصيبة، نظر غيث نحو نعمان قائلاً:

- تستطيع تكليف فرقة من الجن الأرضي وقت المعركة ليردموا هذه الأخاديد قبل أن يضرموا بها النيران.

رفع نعمان زاوية فمه باعتراض قائلاً:

- لا، أتريد أن أردم قبورهم؟ بل أنا أخطط لأن أحرقهم فيها بدلاً منا، اتركهم يصنعون قبورهم بأيديهم ويوفرون وقتنا.

تنحنح غيث بحرج وهو يسأله:

- لا تغضب ولكني أريد أن أسألك شيئًا.

تأفف نعمان قائلاً:

- إيلينا.

رفع غيث كفه أمامه قائلاً:

- أريد أن أعرف فقط ما هو دورها معنا؟

أجابه نعمان وهو يبتسم بفخر قائلاً:

- ستساعدنا بعزفها أن نقذف بهؤلاء الشياطين جميعًا في أخاديدهم.

فتحت إيلينا النافذة الزجاجية التي تطل على الخارج وهي تتنفس بعمق، تأملت المساحة الخضراء الشاسعة أمامها، عادت للخلف وهي تبتسم ثم ارتدت حذاءها وانطلقت نحو التلة التي تراها من بعيد، استغلت غياب راكان المتكرر وخرجت ركضًا وهي تشعر بنشاط غريب، توقفت عند نهاية التلة وجلست تتربع لتلتقط أنفاسها وهي تتذكر ما حدث مع نعمان منذ عدة أيام...

كانت تجلس في غرفتها تتأفف وهي تنظر للفلوت الخاص بها وتشعر بالانزعاج الشديد لأنها لا تستطيع العزف عليه،

اختض جسدها حين سمعته يطرق باب غرفتها، فتحت له بتعجب فأمسك نعمان بكفها وهو يضع سبابته على شفتيه يأمرها ألا تفتح فمها، لحظات وانتقل بها للغرفة السرية المحصنة بداخل المملكة، تعجبت إيلينا وهي تنظر حولها بدهشة قائلة:

- ما هذا المكان يا عمي؟

أجلسها نعمان بجواره على المقعد قائلاً:

- هذه تسمى الغرفة المحصنة، لن يستطع أحد من الجن أو الإنس سماعنا ونحن بداخلها.

ثم أكمل بتركيز تام:

- اسمعيني جيدًا يا إيلينا ونفذي ما سأطلبه منك بدقة شديدة.

انتبهت له بكل حواسها وهو يقول:

- في طريق عودتي منذ قليل لمحت ثعبانًا يجوب الحديقة الخارجية للقصر وهذا يعني أن أحد المقربين لعزازيل يراقبكِ الآن وسوف ينتهز أي فرصة لخطفكِ.

شهقت إيلينا بفزع فأمسك نعمان بكفيها قائلاً:

- هناك خياران أمامكِ: أولهما أن تظلي هنا ولن يصل إليكِ أحد من الإنس أو الجن أبدًا حتى ننتهي من الحرب.

انتظر نعمان لثوانٍ مما جعلها تسأله:

- والثاني؟

ابتسم لها قائلاً:

- أن تساعدينا على الفوز بالمعركة الأخيرة واستعادت ممالكنا التي تحت إمارة الشياطين وقتل رؤوسهم القميئة.

لمعت عيناها ببريق يحفظه عن ظهر قلب:

- يا إلهي أنت مذهلة يا إيلينا.

قالها نعمان وهو يبتسم لها وكأنه يرى زوجته تتجسد أمامه، سألته إيلينا ببهجة غير عادية:

- وكيف لي أن أساعدكم؟

وقف نعمان وهو يشير إليها قائلاً:

- هل تملكين آلتكِ الموسيقية؟

أخرجتها من جيب سترتها وأعطتها له، أمسكها نعمان يلفها بيده متسائلاً:

- ما هي المقطوعة الموسيقية التي عزفتِها منذ عدة أيام في منزلكِ؟

أجابته وهي تعقد حاجبيها:

- كانت مقطوعتي الخاصة ولم تكتمل بعد.

اكتملت الرؤيا عند نعمان وعلم على الفور أنها هبتها الخاصة وليس العزف فقط، أعطاها الفلوت الخاص بها وهو يقول:

- حسنًا يا إيلينا إليكِ ما ستفعلينه، سآتي لكِ غدًا بصفوة تعلمكِ ما تحتاجين إليه من النغمات الخاصة بالجان، ثم تكملين بها مقطوعتكِ ولكن لا تعزفيها، فقط دوّنيها على ورق واحفظيها عن ظهر قلب، وستترك لكِ صفوة آلتها خذيها حين تجدينها واخفيها داخل ملابسكِ، ثم اخرجي للحديقة الخارجية بعد رحيل صفوة مباشرة وانتظري حتى يظهر لك أحدهم يطلب منكِ الذهاب معه لأي مكان، لا تعترضيَ واذهبي معه، ولكن لا أريد منكِ السيطرة عليه بمعزوفتكِ، أريدكِ أن تجاريه على قدر ما تستطيعين ولا تقلقي فعيني ستبقى عليكِ وإن شَعرتِ بأي خطر استخدمي عزفك واجعليه يقتل نفسه على الفور، والآن يجب أن أعلمكَ الأماكن الخاصة في جسد الشياطين التي تحوّلهم لرمادَ في الحال.

عادت إيلينا سريعًا حين وضع راكان يده على كتفها قائلاً:

- كنت أبحث عنكِ؟ لمَ تجلسين هكذا بمفردكِ؟

رفعت وجهها نحوه تبتسم إليه قائلة:

- كنت أركض قليلاً وشعرت بالإرهاق فجلست أستنشق هواءً نقيًا.

مد لها راكان كفه يغمز لها قائلاً:

- حسناً هيا بنا، فعندي لك مفاجأة سارة.

أمسكت إيلينا بكفه وهي تبتسم قائلة:

- سنعود للمملكة؟

أوقفها راكان وسحبها خلفه وهو يضيّق عينيه بمكر مرددًا:

- ليس بعد.

ترجّل عزازيل من فوق العرش وهو يحمل بضعًا من الحيات بيديه ينظر نحوهم بتمعنٍ وتركيز يفكر مليًا كيف يستطيع الاستيلاء على الكتاب وقتل المسمى يوناس، والتخلص من عائلته جميعًا حتى يستطيع أعوانه السيطرة على باقي الممالك، استدعى «ظام» بشكل عاجل، فجاءه الأخير مهرولاً يسجد له طاعة وإجلالاً، سمح له بالاعتدال ثم سأله:

- هل عرفت مكان يوناس؟

هز ظام رأسه نافيًا بأسف شديد وهو يقول:

- لم يعثر عليه أحد، وكأنه تبخّر في الهواء يا سيدي.

ألقى عزازيل إحدى الحيات على وجه ظام وهو يصرخ به قائلاً:

- لا يوجد جني يتبخر في الهواء أيها الغبي، يوجد جني ذكي يستطيع التخفي منكم يا زمرة من الحمقى.

ثم أكمل بغضب شديد:

- أغرب عن وجهي أيها المعتوه، اذهب وأشعل نيران الحرب في قلوب الشياطين، أريد أن أصبح في الغد وممالك المسلمين السبعة تحت تصرفي، هيااااا.

انطلق ظام وهو يجر ذيله بأقصى سرعة ليفعل ما أمره به، دخل راكان على عزازيل وهو يبتسم بخبث قائلاً:

- لقد نفذت ما اتفقنا عليه، لم يعد لدينا الآن سوى الإنسي غيث وهذا ليس له حساب بيننا فنهايته أسهل ما في الأمر.

هز عزازيل رأسه أمام راكان وهو يمسك بكتفه قائلاً :

- لا أريد أية أخطاء هذه المرة، أنا أعتمد عليك يا راكان.

انحنى راكان أمامه مرددًا:

- ستكون النهاية كما تريدها أنت يا سيدي لا تقلق.

لوّح له عزازيل بكفه:

- حسنًا فلتذهب لقيادة الجيش ولتوقد نار الحرب، ولا تطفئها إلا مع آخر طيف لجندي في جيش المسلمين، تأججت عينا راكان بنظرة خبيثة وانطلق نحو ناصور وسنجاب اللذان يستعدان للمعركة الأخيرة.

اجتمع الملوك السبعة مصفوفين وبجوار كل ملك وزيره وخلف كل منهم يقف جيشه كاملاً، بينما يقف نعمان في منتصفهم يجوب على الجيوش ذهابًا وإيابًا يتمم على الصفوف الأولى التي تحتوى جميعها على مجموعة من العفاريت القوية التي لا تقهر، أجلى نعمان صوته وقرر إلقاء خطاب حماسي ليزيد به همتهم

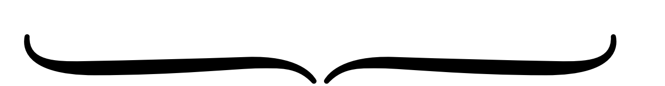
على القتال، نظر للملوك السبعة وأحنى رأسه أمامهم بتقدير واحترام، وبدأ خطابه قائلاً:

- منذ قرون ونحن نحارب هؤلاء الملاعين بكل ما أوتينا من قوة لنحافظ على ممالكنا سالمة وآمنة، ولكنهم لا يريدون لنا أن نعيش بأمان على أراضينا التي نمتلكها بعيدًا عن البشر منذ أن خلق الله الإنسان، دائمًا يسعون للفساد وسفك الدماء من أجل الاستيلاء على ممالكنا وتشريدنا من أراضينا وتشتيت شملنا لنصبح ضعفاء، ووقتها يستطيعون السيطرة علينا وإذلالنا، حان الوقت الآن لقتلهم عن آخرهم وتحويلهم لرماد نزين به أرض ممالكنا العظيمة التي ستظل أرضًا للمسلمين.

اشتد الحماس بين الصفوف وبدأت أصواتهم تعلو وتهز الأرض من تحتهم، أكمل نعمان بصوت أعلى وهو يرفع يده عاليًا:

- كبّروا في وجوههم، وأحرقوهم بآيات الله المنيعة لأمثالهم، ولا تتركوا منهم شيطانًا لعينًا ينعم بجزء صغير من تراب أرضنا.

دمروهم وافتكوا بهم واسحقوهم تحت أقدامكم، فأحذيتكم الشريفة مكانهم الذي ينتمون إليه، تقدمووووا أيها الجنووود هيااااااااا.......



الفصل الثامن عشر

صحراء أنتراكتيكا، أرض المعركة.

(تبلغ مساحتها حوالى 5.5 مليون ميل مربع، وهي صحراء قطبيّة باردة، حيث يغطّي الثلج مساحة 98% منها، ودرجات الحرارة فيها قد تصل إلى تسعين درجة مئويّة تحت الصّفر، تقع هذه الصحراء في القطب الجنوبيّ من الكرة الأرضيّة).

كلا الجانبين يتخذ موضعًا، الملوك السبعة في مصفوفة أفقية يتقدمهم نعمان وبجواره يوناس، ينظرون نحو الجهة المقابلة بشراسة لا مثيل لها، بينما يقف قادة الشياطين في مصفوفة مماثلة يتقدمهم راكان وبجواره بعض الجنود ينفخون في أبواق خشبية تصدر صوتًا حماسيًا لهم وتحثهم على الاستعداد للمواجهة، وكلٌ منهم يحمل أسلحة متنوعة ضخمة وحادة بمجرد رؤيتها تجعل القلب يهوي صريعًا من الخوف، تحمل جيوش الشياطين المكونة من المَردة مطارق كبيرة ومسننة تفوق قدرة مئة رجل على حملها، بينما الغيلان يفضلون الرماح الحديدية ذات الشفرات الحادة اللامعة، في المقابل يحمل المسلمون هراوات خشبية تنتهي بدائرة بها سنون مدببة تحطم أي شيء يقع تحتها.

أشار نعمان للصفوف الأولى من الرماة أن يتقدموا، تقدم الرماة جميعهم، وأخرجوا أقواسهم واستعدوا لتلبية الأمر، توحدت أبواق الشياطين على نغمة واحدة الكل يعرفها وهي «هجوم»،

وعند سكون آخر بوق في صفوف الشياطين انطلق الجنود بأقصى سرعة نحو جيوش المسلمين، رفع نعمان يده عاليًا وانتظر، واحد، اثنان، ثلاثة، ثم أنزل يده قائلاً:

- أطلقوا السهاااااام.

انطلق عدد لا يحصى من السهام المشتعلة نحو الشياطين الذين يركضون بأقصى سرعتهم، سقط منهم من سقط، واختفى منهم من اختفى لتفادي الإصابة، أشار نعمان لباقي الجيش بالهجوم الفوري فانطلق الجميع بأقصى سرعتهم حتى اشتبك الجيشان في معركة ملحمية دامية!

جيش المسلمين بمختلف فئاته يحارب بضراوة وبأسٍ شديد، ينتقلون بخفة بين جنود الشياطين ويقتلون هذا وذاك بسرعة خرافية ومهارة كبيرة، بينما تغلغل ناصور وسط الصفوف يقتل كل ما يجده من المسلمين في طريقه بوحشية كبيرة ووجهته واحدة، بني النعمان، بينما حلّق راكان عاليًا ليرى يوناس عن قرب، فوجده يقاتل بشراسة لا مثيل لها، تلتف حوله مجموعة كبيرة من الغيلان والمَردة، ورغم ذلك لا يستطيع أحد منهم مسه بل هم من يتساقطون حوله مثل الذباب.

يقف أبوه على مقربة منه يلتف حول هذا فيكسر رقبته ويمسك بيد ذاك يقذفه بعيدًا فيسقط تحته مجموعة من الجنود يُسحقون تحت جسده،

بينما يتناول مطرقة أحد المَردة ويشقه بها نصفين ثم ينحني سريعًا من الآخر قبل أن يصيبه فيأتي من خلفه ويضربه على رأسه بالهراوة ذات السنون الحادة فيقع صريعًا، حتى الآن جيش المسلمين هو المسيطر على الوضع بأكمله، والنصر من المؤكد حليفهم، رفع يوناس رأسه فوجد راكان يغمز له مبتسمًا، نظر حوله سريعًا فوجد جيشه يكاد ينتصر على الشياطين ويهزمهم هزيمة نكراء، فعقد حاجبيه يردد وهو ينظر نحو راكان:

- هناك خطب ما.

أشار له راكان برأسه أن هناك أحدًا خلفه فاستدار سريعًا يقاتل قائدًا من قادة المَردة العظام، وبعد مناورات عديدة بينهما أدت لإصابة يوناس إصابة طفيفة استطاع أن يوقعه أرضًا ويقطع رقبته بسيفه الكبير، عاود النظر نحو راكان فوجده قد اختفى، تحولت نظراته سريعًا نحو أبيه فوجده يقاتل ناصور الذي يصك أسنانه ويعوي بصوتٍ عالٍ ومخيف لأنه لا يستطيع الإمساك بنعمان، حدسه يخبره أن هناك مكيدة تحدث! اعتلى هضبة عالية لينظر حولها عن أي شيء مريب فلم يجد شيئًا! تلقى ضربة شديدة في منتصف ظهره جعلته يسقط أرضًا، وقبل أن يهبط عليه سنجاب مرة أخرى وهو يحمل في كل يد من يديه سلاحًا مختلفًا كان يوناس يتدحرج بعيدًا يتفادى الضربة مما جعل سنجاب يهبط على الجليد، وقبل أن يقف سنجاب مرة أخرى،

أمسك يوناس بمطرقة كبيرة من إحدى يديه وضربه بها على رأسه مما أحدث جرحًا عميقًا في رأسه، كاد أن يُنهي حياته ورفع يديه عاليًا بالهراوة الضخمة ليسقطها على رأسه يحطمه، ولكنه توقف جاحظ العينين حين رأى أعدادًا من الشياطين تفوق أعدادهم ستة أضعاف يحملون أسلحة متعددة بأيديهم بالإضافة لاصطحابهم رافعات تُجر بعجلات حربية تشتعل النار بداخلها وتحتوى على أحجار كبيرة وضخمة يستطيع الحجر الواحد منها قتل مجموعة من الجنود إذا سقط فوقهم! أفاق يوناس على وقوف سنجاب أمامه قائلاً:

- لم تبدأ الحرب بعد أيها الحمقى.

ثم تركه واختفى قبل أن يستطيع الإمساك به!

هبط سريعًا لوالده الذي ما زال يقاتل ناصور بضراوة والتف حول هذا الشيطان يمسك به من الخلف فالتفت ناصور نحوه لكي يقاتله فاستغل نعمان انشغاله بيوناس وأمسك سيفه بكلتا يديه بقوة شديدة وارتفع عاليًا ثم سقط على منتصف رأسه يقسمه نصفين، ووقع ناصور على الأرض متحولاً لرماد أسود، أمسك يوناس بيد أبيه سريعًا يُخبره بأنفاس لاهثة قبل أن ينتقل لشيطان آخر:

- أبي هناك جيش كبير من الشياطين يأتي من خلف التلة دعني أريك سريعًا.

عقد نعمان حاجبيه وعلامات الرعب بدأت تزحف على ملامحه حين ذهب للأعلى ورأى الجيش الكبير يزحف نحوهم، قال له يوناس بصوت مرتجف :

- يجب أن ننسحب يا أبي قبل اشتباكهم معنا.

نظر نعمان نحوه بتيه شديد وهو يهز رأسه رافضًا:

- لااا، لن نستطيع الانسحاب وترك أراضينا.

صرخ به يوناس وهو يهز كتفيه:

- سنموت جميعًا، ألا ترى عددهم وما يحملون من أسلحة، انظر للجانب الآخر، انظر يا أبي.

نظر نعمان كما أشار له يوناس فوجد أخاديد النار تشتعل عن آخرها، أكمل يوناس بانفعالٍ شديد:

- كانت خدعة يا أبي، هم أرادونا في هذا المكان، نحن الآن محاصرون بين أخاديد النيران والجيش القادم.

دار عقل نعمان كطاحونة تدور بأقصى سرعة وهو يحلل الأمر ويوناس يكرر جملته:

- لا حل أمامنا سوى الانسحاب.

أوقفه نعمان وهو يصرخ به:

- لو انسحبنا سيأتون خلفنا إلى المملكة ويحطمونها فوق رؤوسنا ولن نجد مأوى نعيش فيه أيها الغبي، اتركني أفكر قليلاً في هذه الكارثة، لحظات وأمسك يده قائلاً:

- اذهب سريعًا وأتِ بإيلينا إلى هنا، ثم رفع وجهه للسماء قائلاً:

- أسرع يا قاصف أرجوك.

ثم نزل عن التلة يبحث عن العفاريت الذين تدربوا على يديه تدريبًا خاصًا، بينما انتقل يوناس سريعًا حيث إيلينا الذي وجدها جالسة على الأريكة تطالع إحدى المجلات، قطب حاجبيه بتعجب ثم اختفى لبضع دقائق قبل أن تشعر به، وعاد إليها بعد قليل يردد اسمها، التفتت نحوه سريعًا وهي تضيّق عينيها قائلة:

- ما الذي أتى بك إلى هنا يا يوناس؟

اقترب منها ثم أمسك كفيها قائلاً:

- هيا بنا، أبي يريدكِ الآن معنا.

أفلتت يدها من يديه قائلة:

- سنعود للمملكة الآن؟

صرخ بها يوناس قائلاً:

- ليس هذا وقت جدالكِ يا إيلينا، آلتكِ الموسيقية معكِ؟

هزت رأسها إيجابًا وهي تخرجها من جيب سروالها فأمسك يوناس بيدها لينتقل بها إلى الحرب ولكنه بدلاً من ذلك وجد نفسه في مملكة عزازيل يقف وسط قفص حديدي كبير وهو مكبل اليدين.

وقف قاصف بين رؤساء أكبر تسع مجموعات من الجن السيارة يحاول إقناعهم أن يخوضوا الحرب معهم، ثلاثة منهم اعترضوا بشكل نهائي وبرروا ذلك بأنها ليست حربهم ولن تضرهم أو تنفعهم في شيء، بينما الستة الباقون لم يعترضوا بشكل كامل على الاشتراك في المعركة ولكن يجب أن يكون هناك مقابل مجدٍ، خاض معهم قاصف العديد من المفاوضات خلال الساعات الماضية واستقر على ثلاثة شروط أساسية وهو الآن بانتظار موافقتهم، اجتماع مغلق بين الرؤساء التسعة وقاصف يقف بالخارج يجوب المكان ذهابًا وإيابًا على جمر من نار، يسمع صوت استدعائه من أبيه تارة، ونعمان تارة أخرى، ولا يستطيع تلبية النداء، يجب عليه أن يقنعهم بأي شكل على المشاركة، بعد عدة دقائق خرج المتحدث الرسمي بينهم يتلو على قاصف شروطًا إضافية عن المتفق عليها، تهلل وجهه بالسعادة فأيًا كانت هذه الشروط يجب عليه الموافقة، بدأ يستمع للشرط الأول الإضافي:

- سيكون لنا حق دخول الممالك السبعة في أي وقت نريده دون تقييد.

مررها قاصف على مضض فهو يعلم الجن السيارة جيدًا، من المؤكد ستحدث عواقب جراء دخولهم للممالك دون رقابة.

الشرط الثاني:

- رؤساء المجموعات سيكونون رؤساء للمجموعات حتى وإن قررت واحدة منهم العيش بداخل إحدى الممالك.

تلوّن وجه قاصف للأحمر الناري بعد سماع هذا الشرط المجحف، فهذا معناه إقامة مملكة بداخل مملكتهم ولن يكون للملك أي حق في الحكم عليهم إن خالفوا شروط المعيشة! كاد أن يتحدث فأوقفه الرجل ليكمل:

الشرط الثالث والأخير:

- لن يُحاكم أي جني من مجموعتنا إذا استخدم السحر أو التلبس من البشر وهو يسكن داخل ممالككم، بمعنى آخر لن تسري علينا قوانينكم بهذا الشأن.

تملكه الغضب الشديد وكاد أن يلعنهم لعنًا ولكنه تحامل على نفسه وطلب اجتماعًا آخر لمناقشة هذه الشروط المجحفة التي ستؤدي على الفور لفوضى عارمة داخل الممالك لن يستطيعوا السيطرة عليها فيما بعد،

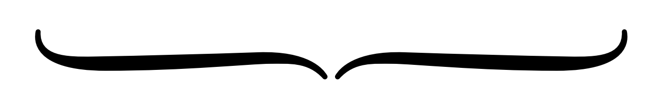
ورغم يقينه أن الوقت نفذ إلا أنه لن يستطع الموافقة على تلك الشروط هكذا، ولكنه فوجئ بالرفض التام للمناقشة من قبل الرؤساء وتركوا له مهلة عشر دقائق ليقرر فيها هل ما زال يحتاج مساعدتهم أم يذهب كل منهم لأشغاله؟

وقف قاصف يحيط رأسه بكفيه بأسف شديد فهذه المجموعات لا تمتلك جزءًا من الشرف أو الانتماء أو حتى

الأخلاقيات العامة، لقد عانوا قرونًا كثيرة حتى استطاعوا إخراجهم من الممالك ومن إماراتهم جميعًا، فمجرد عودتهم بهذه الشروط المجحفة والتي لا تمت للعقل بصلة ستكون كارثة حتمية!

نداء أخير وصارم من نعمان جعله ينتفض ليختفي سريعًا وهو يردد:

- أتمنى أن أجد حلاً مقنعًا في جعبتها قبل أن تنتهي المدة.



الفصل الأخير

عاد راكان لهيئته الحقيقية بعد أن خدع يوناس واتخذ شكل إيلينا، رفع يوناس زاوية فمه بتهكم وهو ينظر نحوه قائلاً:

- هذا أقصى ما استطعت فعله؟

أطلق راكان ضحكات عالية وهو يقول:

- لم أفعل بك شيئًا بعد يا ابن الإنسية.

لم يُرد يوناس أن يسأل عن إيلينا حتى لا يتخذها راكان أداة ضغط عليه، فقرر الصمت وانتظار ما يريد راكان فعله به، ولكنه تفاجأ بدخول عزازيل بهيئة بشرية للغرفة الكبيرة يتمختر بخيلاء وغرور، ابتسم يوناس على مظهره قائلاً:

- تذكّرني بذَكر الطاووس يا عزازيل.

ضحك عزازيل ضحكة مدوية وهو يقول:

- اسخر مني كما تشاء.

ثم اقترب من قفصه يمسك بقضبانه وينظر نحوه بعينين حمراوين ليُكمل:

- لقد اشتبك الجيش الكبير مع بقايا جنودكم، دقائق وتنتهي المعركة وتموت عائلتك وممالك المسلمين بأكملها.

ثم أشار لجسده:

- وهـذ الجسـد الـذي تسخـر مـنه، كـان فـي اجـتماع هـام لرؤسـاء مجموعـات الـجن السيارة الذي اعتمد عليهم والدك بأن يساعدوه، ثم غمز له بعينيه:

- لا تقلق لقد حللت الأمر.

عاد عزازيل عدة خطوات للخلف وهو يرفع رأسه عاليًا يردد:

- وأنـت الآن فـي قـبضـتي وهـذه الإنـسية الـتي تـسيطر عـلى الشياطين.

ثم صفّق بكفيه قائلاً:

- وأخير سأتخلص من ممالك المسلمين جميعًا في يومٍ واحد.

أمسك راكان بيد إيلينا يجرها خلفه حتى وصل أمام يوناس المـكبل فـي سـجنه، انـتفض قـلبه داخـل صـدره حـين رآهـا منكسة الرأس تشعر بالندم الشديد وكأنها خذلتهم!

حـثها راكـان أن تـرفـع وجـهها نـحو يـونـاس فـفعلت بـعينين دامعتين وهـي تردد:

- أنا آسفة يا يوناس.

أجابها يوناس بابتسامة مطمئنة:

- لا عليكِ يا إيلينا، لم يكن بيدكِ حيلة، لقد خدعونا جميعًا.

شعرت إيلينا بنبرة غريبة في صوته حين قال «لقد خدعونا جميعًا».

اقترب راكان من يونـاس وهـو مـا زال يُحكم قبضته على إيلينا:

- ألن تترجاني أن أتركها؟

ابتسم يوناس له وهو ينظر لعمق عينيه بتحذير قائلاً:

- ستتركها بدون رجاء يا راكان.

قهقه الأخير عاليًا ثم توقّف وهو ينظر له عبر القضبان قائلاً:

- حسنًا، دعنا نلعب لعبة مسلية.

ثم فتح القفص الحديدي وهو ما زال يمسك بيد إيلينا قائلاً:

- اخرج من سجنك إذًا.

وبالفعل خرج يوناس ولكن ما زالت يداه وقدماه مكبلة، ابتعد راكان عدة خطوات للخلف ثم أشار له قائلاً:

- الآن تحول للإنسي يا يوناس.

جحظت عينا يوناس بفزع بينما أطلق عزازيل ضحكات عالية مسلية، صرخ به راكان بصوت مرتفع:

- هيا يا يوناس تحول الآن.

ثم وضع كفيه حول رقبة إيلينا ليكمل:

- وإلا قتلتها أمام عينيك.

ابتلع يوناس ريقه بصعوبة، لقد فاجأه هذا اللعين مفاجأة لم تكن في حسبانه، تبادلا النظرات هو وراكان الذي قال له:

- لقد رأيت سوار «آصف بن بارخيا» في يدك حين كنت أراقب إيلينا، عرفت يومها على الفور أنك تستخدمه للتحول حتى لا نستطيع العثور عليك ولا تتبعك.

ثم رفع صوته مرة أخرى قائلاً:

- هيا يونااس، هذا آخر إنذار لك.

قرّب يوناس السوار من قبضة يده الأخرى وما إن لمسه حتى تحول على الفور، جحظت عينا إيلينا حتى كادت تخرج من مكانها، فاقترب راكان من أذنها قائلاً:

- ألم تكوني تعرفين أن غيث هو نفسه يوناس؟

لم يخطر على باله غيرها، لقد تعرّف عليها من قبل في إحدى المفاوضات الخاصة بالحروب، لقد كانت بارعة بحق وتطورت علاقتهما من بعدها،

يجب عليها أن تتحلى بالشجاعة الكافية وتبذل قصارى جهدها وتحاول التفاوض مع هؤلاء الملاعين، ذهب قاصف لصفوة وشرح لها الوضع وقبل أن يأخذها وينتقل حيث اجتماع رؤساء المجموعات وجد يوناس أمام بيتها، وقفا سويًا ليخبره يوناس بما حدث، وعن الجيش الكبير الذي كاد أن يصل إليهم الآن ويبيدهم عن آخرهم.

تصاعد القلق على وجه قاصف ثم تركه يوناس واختفى بعد أن أخذ لفافة من صفوة لا يعلم قاصف محتواها وهذا ليس الوقت المناسب للسؤال، انتقل بها سريعًا حيث الاجتماع، ولكن هاله ما رأى، لقد أدركهم في اللحظة الأخيرة وهم يفضون الجمع، أوقفهم قائلاً:

- ماذا يحدث يا سادة! المهلة لم تنتهِ بعد؟

تكلم محدّثهم:

- لقد تأخرت يا قاصف، ونحن لا نريد مساعدتكم.

كاد أن يصرخ بهم فأمسكت صفوة بكفه تضغط عليه برفق ثم تقدمت أمامه تنظر لعمق عين رئيسهم ثم رفعت زاوية فمها بابتسامة رقيقة وهي تقول:

- اهدأ يا سيدي، فهناك دائمًا وقت لإصلاح الأمر .

وقف بني النعمان أعلى التلة ينظر نحو الجنود الغفيرة التي تركض نحوهم بقلة حيلة وعجز كامل!

دقائق قليلة ويصلون إليهم، نظر نحو جيشه الذي يحارب بضراوة وبأس ولم يعد سوى القليل من الشياطين ويعلنوا الأفراح والانتصارات، لقد خدعهم عزازيل كما لم يفعل من قبل، استهلك كل قوتهم في مجموعة صغيرة من الجنود حتى يظنوا أنهم انتصروا عليهم فإذا به يبعث أضعاف أعدادهم قوة ومن ثم يربح كل شيء بقتل جنود المسلمين والاستيلاء على أراضيهم، احتدت نظرات نعمان بشراسة وغلٍ شديدين وهو يردد:

- لن يحدث يا عزازيل.

ثم ضرب بقبضته على صدره:

- لن يحدث حتى يخرج آخر أنفاسي.

ثم هبط عن التلة واقترب من الملوك السبعة يجمعهم حوله سريعًا ليخبرهم عن الجيوش الآتية، أصابتهم الصدمة واقترح بعضهم الانسحاب ولكن نعمان اعترض بشدة وقال لهم ما قاله لولده منذ قليل، وقف نعمان وخلفه مجموعة كبيرة من العفاريت الأقوياء يصطف على جواره الملوك السبعة وما تبقى من الجيش، تأملهم نعمان بأسف فملامح الإحباط تسيطر عليهم بشدة، لم يجد وقتًا مناسبًا لخطاب حماسي آخر فاتخذ وضعية الدفاع المميت وبدأ في القتال، اشتعلت أجواء المعركة بقتال جنوني وعنيف للغاية، ففرقة العفاريت من الجن تقوم بعملها على أكمل وجه ولكنهم ليسوا بالعدد الكافي،

بدأ الشياطين في استخدام «المنجنيق» في قذف الحجارة المشتعلة فوق رؤوس جيوش المسلمين مما أدى لخسارة كثيرة من الأرواح على إثرها، أمر نعمان مجموعة صغيرة من العفاريت بالانتقال للجهة الأخرى ومحاولة تحطيم هذه العجلات الحربية اللعِينة، نفذ بعضهم الأوامر وانشغل نعمان بقتال مجموعة من المَردة الذين التفوا حوله عن قصد، لقد أوشكت قواه على الاستنزاف وأصيب عدة إصابات شديدة ولكنه تحامل على نفسه حتى مزق مجموعة المَردة التي أمامه والتفت ينظر للجيش الذي فقد همته نهائيًا وبدأت تتساقط جثثهم بشكل مؤسف للغاية، زفر بضيق شديد وهو يهز رأسه بغضب يبحث عن حل سريع ولم ينتبه نعمان للصخرة الكبيرة المشتعلة التي تقترب نحو رأسه.

ترك راكان إيلينا من يده تسقط على الأرض ثم انطلق نحو يوناس المتمثل في جسد غيث ثم لكمه لكمة جعلته يعود للخلف يلتصق بالقفص الحديدي ويقع على الأرض ينزف الدماء من أنفه وفمه، أطلقت إيلينا صرخة قوية عند سقوط يوناس على الأرض جعلت راكان يلتفت نحوها يحذرها بعينين مشتعلتين:

- دوركِ قادم أيتها الفتاة، لا تتعجلي بالصراخ.

ثم اقترب من جسد غيث يمسكه من رقبته ليوقفه، فبدأ يسعل بشدة وغطت الدماء وجهه، فضحك راكان قائلاً:

- يوناس القوي العظيم يحتضر من لكمة واحدة.

بصق يونـاس دمـاءه فـي وجـه راكـان وهـو يـنظر نـحوه بتحـدٍ قائلاً:

- تستغل جسدي الضعيف أيها الجبان لأنك تعلم جيدًا أنك لن تستطيع مواجهتي.

لكمة أخرى تلقاها في معدته جعلته يلتقط أنفاسه بصعوبة بالغة، ولكنه تحامل على نفسه وأمسك بالقضبان من خلفه وحاول الوقوف ثابتًا وهو يقول:

- هات ما عندك يا خسيس.

صك راكان أسنانه بغيظ وظل يركله تارة ويظهر من خلفه لينهال عليه باللكمات، كل ذلك تحت أعين عزازيل المستمتعة وصرخات وأنين إيلينا التي تعرف أنه لا يستطيع التحوّل ومواجهته حتى لا يؤذيها، فهذا النجس يستخدمها للضغط عليه، أشار له عزازيل أن يتوقف عن ضربه قليلاً فتوقف راكان ممتثلاً للأمر، ثم أعطى له كتابًا فارغًا يحتوى بداخله على قلم من الحبر ثم قذفه أمام يونـاس وتركه وعاد عدة خطوات للخلف يمسك بشعر إيلينا حتى يضمن أن يونـاس لن يتحول لجسده وأنه سيفعل ما يأمره به سيده، لمعت عينا عزازيل بخبث وهو يقول له:

- هيا يا يوناس دوّن ما تملكه من أسرار بداخلك.

نظر يوناس للكتاب أمامه ونظر نحو إيلينا التي ما زالت تبكي وتنتحب قائلاً:

- حسنًا سأعطيه لك يا عزازيل ولكن بشرط.

أمسك راكان برقبة إيلينا ليخنقها تحت أنظار يوناس الذي يعض شفتيه حتى أدماهما فأوقفه عزازيل قائلاً:

- اتركها يا راكان.

ركعت إيلينا على ركبتيها تسعل بشدة وتحاول أن تتنفس بشكل طبيعي، بينما نظر عزازيل ليوناس قائلاً:

- يا لهم من بشر ضعفاء.

ثم أكمل وهو يبتسم بخداع:

- قل شرطك أيها الإنسي ولا تضيّع وقتي.

انتظر يوناس حتى اقترب منه راكان وترك إيلينا ثم أخرج الفلوت الذي جاء به من صفوة عندما شعر بخدعتهم وقذفه ناحية إيلينا التي التقطته سريعًا عندما قال لها:

- انقذينا يا إيلينا.

ثم تحول سريعًا ليوناس وأمسك براكان حتى لا يعود إليها بينما بدأت إيلينا بالعزف سريعًا قبل أن يقف عزازيل أمامها،

أسرعت من وتيرة ألحانها مما جعل جسد راكان يرتخي بين يدي يوناس الذي انهال عليه بالضرب ثم فصل رأسه عن جسده في لحظات، بينما وقف عزازيل عاجزًا عن لمس إيلينا التي أحاطتها هالة زرقاء من طاقة لا يعرف مصدرها، ظل مشدوهًا لعدة ثوانٍ جعلت إيلينا تتمكن من حبسه في القفص وإغلاقه عليه، صرخ عزازيل بأعلى صوته أمام إيلينا ويوناس اللذين يقفان أمامه يبتسمان له بمكر جعل يوناس يقول له:

- للأسف الشديد لا أستطيع حبسك هنا للأبد يا عزازيل، فلقد أمهلك رب العالمين فرصة لإغواء البشر ولهذا لم تأتِ نهايتك بعد إلا حين يأمر خالقك.

ثم رفع سبابته أمامه:

- لا تحاول الاقتراب مني ثانيةً لأنك ستخسر جنودك المخلصين بالإضافة إلى أنك كلما اقتربت مني ازداد إيماني، وأنا أعلم جيدًا أنك لا تريد ذلك.

لكزته إيلينا في كتفه متسائلة:

- كيف عرفت أن راكان يخدعك بجسدي؟ وكيف حصلت على الفلوت؟

أمال رأسه تجاهها وهو يشير نحو رماد راكان:

- هذا الغبي لا يعرف أنكِ تكرهين مجلات الموضة، فكان يطالع إحداها وهو ينتظرني، عرفت على الفور أنها خدعة فانتقلت نحو صفوة وأتيتك بآلة أخرى.

ثم أمسك بيدها قائلاً:

- سنذهب الآن سريعًا لأرض المعركة يا إيلينا، اجعلي هذا اليوم آخر أيام هؤلاء الأنجاس.

أجابته إيلينا وهي تضغط على آلتها:

- حسنًا فلنقضي عليهم يا يوناس.

جلست صفوة بين الرؤساء بابتسامة عذبة وصوت هادئ جعلهم يفتتنون بها، بدأت في التحاور معهم بخصوص الشروط التعجيزية التي اشترطوها عليهم، وانتهت بخطاب حماسي عن كونهم من فئات الجن المختلفة، ويجب عليهم أن يتحدوا لمحاربة الشياطين الذين ما إن ينتهوا من الممالك سيلتفون حول المجموعات يتخلصون منها وخاصة المسلمين منهم، بعد مدة ليست بالكبيرة استطاعت إقناعهم بمساعدة جيشهم مقابل تواجدهم بين الممالك بأمانٍ تام إن أرادوا ذلك ولكن بقوانين الملوك وليس بشروطهم هم، والعجيب في الأمر أن الرؤساء خضعوا لها بشكلٍ عجيب وغير مسبوق ووافقوا على ما قالته وأخذوا قرارًا نهائيًا بمساعدة الممالك في الحرب، خرجت صفوة من غرفة الاجتماعات تبتسم بسعادة وتمسك بيد قاصف الذي ضغط على كفها برقة ثم مال على أذنها هامسًا:

- أحبك كثيرًا يا صفوة.

ابتسمت له بعشق خالص ثم قالت له:

- عليك أن تلحق ببني النعمان قبل أن يفوت الأوان.

وبالفعل قاد قاصف الرؤساء التسعة بمجموعاتهم الكبيرة نحو أرض المعركة، وهاله ما رأى من أجساد الجنود المسلمين، والباقي منهم يحارب بآخر قوة يملكها، بينما يجعلهم الشياطين يقتربون من أخاديد النيران المشتعلة ليقذفوهم بها، أشار قاصف للجنود أن يبدأوا الحرب فامتثل الجميع لأمره وركضوا بداخل أرض المعركة بقوة وشراسة، جال قاصف بنظره سريعًا نحو الملوك السبعة فوجدهم يقاتلون رغم إصاباتهم الشديدة، بينما يقف نعمان في المنتصف يدور حول نفسه، من الواضح أنه يبحث عن حل ما!

جحظت عيناه عندما رأي حجرًا كبيرًا مشتعلاً يكاد يسقط على رأس نعمان، انتقل بسرعة البرق نحوه ولكن سرعته لم تكن كافية فقد سقط الحجر على الأرض، حاول إزاحته بكل قوته وقلبه ينتفض حزنًا ولكنه لم يستطع، استدعي بعضًا من الجنود بصوت مرتجف وحزين فهرول بعضهم نحوه ليساعدوه في إزاحة الصخرة المشتعلة، تهلل وجهه بسعادة بالغة عندما وجد نعمان يقف بجواره ويضع كفه على كتفه،

نظر أسفل الصخرة فلم يرَ شيئًا تحتها، ونظر نحو نعمان الذي هز رأسه مبتسمًا وهو يربّت على كتف ساهف بجواره قائلاً :

-لقد أنقذ حياتي.

وصل يوناس وإيلينا يقفان بجوار نعمان وقاصف وساهف، وأمسك جميعهم بأيدي بعضهم البعض ثم انطلقوا نحو الشياطين.

الخاتمة

انتهى غيث من إلقاء محاضرته في الفلسفة ثم لملم أوراقه من فوق المنضدة الخشبية ووضعها في حقيبته، وهمّ أن ينطلق فأوقفه أحد الطلبة يسأله عن ربطه الدائم لعلم الفلسفة والدين المعاصر أو ما يسميه هو «الإسلام»، ابتسم له غيث ووعده أن يوضح له هذا الجزء في محاضرة قادمة، ثم تركه وتوجه نحو مكتبه لينتهي من تصحيح بعض الأبحاث، دلف إلى مكتبه وجلس على كرسيه وأخرج الأبحاث التي تتطلب مراجعة سريعة، توقف غيث مبتسمًا حين لمح السوار يضئ معصمه، أزاح إسورة قميصه ثم بدأ يتلمس السوار برقة وهو يتذكر حين رأي غيث الأصلي للمرة الأولى والأخيرة.

استدعاه والده للغرفة السرية فذهب إليه على الفور بعد مناورات عديدة فعلها ليضلل الشياطين الذين يتبعونه، دخل الغرفة المحصنة فوجد والده يجلس بجواره أحد الإنس الذين يراهم للمرة الأولى، أشار نعمان نحو غيث قائلاً:

- هذا الإنسي حفيد خادم جد والدتك الأكبر.

ألقى عليه يوناس التحية وجلس يستمع لوالده الذي أخبره أن غيث يمتلك سوار «آصف بن برخيا».

(وهو أحد علماء بني إسرائيل ومن المقربين من الملك سليمان وكان يملك العلم الكبير ويُعلم باسم الله الأعظم ويُجمع العلماء أنه من أحضر عرش ملكة سبأ إلى الملك سليمان بن داود بطرفة عين)،

وأن هذا السوار يُعطي الجن امتيازات عديدة ومنها أنه يستطيع التحول للبشر مثل الشياطين، بالإضافة لقوة كبيرة لمن يرتديه من الجن.

خلع غيث السوار من يده ليضعه على الطاولة ثم قربه من يوناس بسبابته، نظر يوناس نحو السوار الذهبي عاقدًا حاجبيه يتساءل:

- لا أفهم شيئًا؟

وقبل أن يوضح له نعمان الأمر أوقفه غيث ثم نظر نحو يوناس قائلاً:

- حين قابلت والدك وأخبرته أمر السوار كان على سبيل مساعدتكم، ولكني حين عرفت بأمرك وأنك تحمل كتاب أسرار الجن فأنت الأولى به يا يوناس.

التمعت عينا يوناس بسعادة كبيرة فأكمل غيث:

- القوة الإضافية تعني مسؤولية إضافية يا يوناس، ويجب عليك أن تتحملها على أكمل وجه.

سأله يوناس بتعجب:

- ولماذا تتخلى عن مسؤوليتك يا غيث؟

لاح الحزن على ملامح وجهه قائلاً:

- المرض، لقد تمكن من جسدي ولم أعد أستطيع محاربة الشياطين كما كان مقدرًا لي.

ربّت يوناس على كفه وهو ينظر نحو والده قائلاً:

- سيتدبر الحكماء أمرك لا تقلق.

هزّ نعمان رأسه إيجابًا فأكمل غيث:

- يجب أن تعدني أن تظل على عهد عائلتي وتتزوج من إنسية ويجب أن يورّث السوار لكل ابن بكريّ من سلالتك.

ابتسم له نعمان وملامحه تتراقص بسعادة بالغة عندما لمعت الفكرة برأسه سيتزوج من إيلينا وهو على هيئة غيث ووقتها لن تعترض خالته ولا زوجها.

عاد يوناس لحاضره على طرقات تصدر من باب مكتبه، أذن للطارق فوجدها إحدى الطالبات تسأله عن بحثها.

خرجت من الجامعة تستقل سيارتها وتقود بأقصى سرعة، لقد أخذت وقتًا أكثر من المعتاد في محاضرتها الأخيرة، يجب أن تصل للمنزل قبل عودة يوناس، لقد اقترب موعد عودته ووالدتها تنتظرهما في المنزل في وليمة صنعتها من أجلهما في يوم عيد زواجهما الأول، دلفت داخل المنزل تركض نحو غرفة نومها، نزعت ملابسها سريعًا وهي تشعل المكيف على درجة عالية فالجو بارد بالخارج،

ارتدت قميصًا منزليًا خفيفًا وتوجهت ناحية المطبخ الكبير، أخرجت أدواتها وطعامًا جاهزًا لتبدأ في تحضيره، اختض جسدها حين شعرت به خلفها يحيط خصرها بيديه، التفت نحوه بغيظ فوجدته ما زال في جسد غيث لكمته في صدره بغضب قائلة:

- أخبرتك عشرات المرات أن تترك موهبتك الرائعة في الاختفاء والظهور خارج هذا المنزل.

حرّك حاجبيه صعودًا ونزولاً بمشاكسة قائلاً :

- هذا إرث عائلي.

دفعته بعيدًا عنها ولكنه لم يتحرك وهو يقيّدها بين يديه، أرخت يديها بإرهاق من دفعه قائلة:

- اتركني يا يوناس أحضّر لك طعامًا قبل أن نغادر فأنا أعرف أنك لن تأكل في بيت أمي.

رفع يديه عنها ثم ضغط على سواره وتحول لجسد يوناس، وابتسمت له بحب فكم تعشق وجهه الأصلي، أحاط وجهها بكفيه يقبّلها برقة على وجنتيها وهو يغمز لها، توقف عند إطلاق جهاز صغير يحدد الأماكن صفيرًا يعرفه جيدًا، أمسك بالجهاز ووقفت إيلينا خلفه على أطراف أصابعها وهي تتفحص المكان المسجل على الجهاز، رفعت حاجبيها وهي تردد:

- إيطاليا.

ثم سألته:

- هل تعرف مَن؟

هز رأسه نافيًا، ثم رفعها ينظر عبر الباب قائلاً:

- ساهف يريد الإذن بالدخول.

خطت إيلينا نحو إحدى الغرف وأغلقت الباب خلفها حين أذن يوناس لساهف، وقف ساهف أمام يوناس يحييه ثم قال:

- سنجاب ظهر أخيرًا.

ترك يوناس جهاز الاستدعاء من يده ثم رفع زاوية فمه بابتسامة قائلاً:

- إذًا هو سنجاب، لقد جاء لنهايته.

أشار له يوناس أن ينصرف ويوافيه بآخر الأخبار، فأطاعه ساهف ورحل، دخل يوناس لإيلينا فوجدها ترتدي كامل ثيابها ثم أخرجت الفلوت من حقيبتها ووضعته في جيب سروالها، ابتسم يوناس وهز رأسه يردد:

- لا فائدة منكِ.

اقتربت منه ترفع حاجبها بتكبر قائلة:

- لن تستطيع قتله بمفردك.

اقترب يطبع قبلة قوية على وجنتها قائلاً:

- حسنًا يا منقذتي.

ثم أمسك كفها وانتقل بها لمدينة «جانوا إقليم ليغوريا»، وصل للمنزل المنشود ثم لمس سواره وتحول لجسد غيث، طرق الباب عدة طرقات ففتحت له سيدة المنزل بوجه مرتعب وجسدها يرتجف ذعرًا، فحدّثها بالإيطالية:

- علمت من أحد أصدقائي أن الشيطان يستحوذ جسد زوجك.

خرج أبناؤه يقفون خلف والدتهم، ابتسمت لهم إيلينا بلطف قائلة:

- لا تخافوا فنحن نستطيع حل الأمر.

تنحت عن الباب وهي تشير إليهما بالدخول، دلف غيث تتبعه إيلينا وسبقهما أحد أبنائه بخطوات قليلة، ترجل للأسفل عند قبو المنزل ثم أشار نحو باب غرفة مغلقة وتركهم وركض صاعدًا، تجعّد وجه إيلينا بحزن على هذا الرجل الذي يلقونه في قبو المنزل مثل الجرذان، أدار غيث مقبض الباب ودخل الغرفة المظلمة تمامًا، أضاء الإنارة وألصق إيلينا خلفه التي أخرجت آلتها الموسيقية على الفور تتمسك بها،

وجدا الرجل الأربعيني ممدًا على الفراش مكبل اليدين، استدار غيث ينظر لإيلينا وهو يشير إليها أن تبدأ بالعزف، أومأت برأسها وبالفعل أمسكت آلتها بين كفيها وبدأت في معزوفتها السحرية، فتح الرجل عينيه على وسعهما وبدأ في التحرك بشكل هستيري جعل الفراش يتحرك بعشوائية ويصدر صوتًا مرعبًا، وصلت إيلينا لمنتصف المعزوفة فأطلق الرجل عدة شهقات متتالية خرج على إثرها سنجاب يحلّق فوق الفراش وعيناه تنضحان بالشرر، حاول أن يستخدم إحدى يديه ليأخذ الفلوت من على فم إيلينا التي ما زالت تعزف مغمضة العينين، وقف غيث أمامه يمسك بيده ولكنه استخدم يدين أخريين من أيديه الكثيرة وضربه به على صدره مما جعله يرتد للخلف، صك غيث أسنانه بغيظ ممسكًا سواره وتحوّل لجسد يوناس، ووصلت إيلينا لآخر المعزوفة وما زال سنجاب يقاوم تأثير نغماتها الساحرة، وفي لحظة اختفى يوناس وظهر خلفه يمسك برقبته ولكن سنجاب أمسك برقبة يوناس بإحدى يدين وثبّته بأخرى وبحركة سريعة أطاح به على الأرض،

أطالت إيلينا نهاية المعزوفة مما جعل سنجاب يدور حول نفسه كالمسحور، استغل يوناس حالته وأمسك بيد واحدة رقبته وباليد الأخرى ثبته عبر الجدار ثم بصوت جهوري أخبر إيلينا أن تتوقف على الفور، وبالفعل توقفت إيلينا عن العزف وبدأ يوناس بترديد الآيات الخاصة بسنجاب وهو يُحكم قبضته على رقبته، تحرك سنجاب بشكل هستيري وهو يتخبط عبر الجدران ويوناس يردد الآيات بصوتٍ عالٍ،

لحظات واستكان جسد سنجاب إلا من بعض الانتفاضات حتى انتهى يوناس وتركه من يده فوقع على الأرض وتحول لرماد على الفور.

ارتدى يوناس سواره وأمسك بيد إيلينا يقتربان من الرجل الذي ما زال فاقدًا الوعي، حاولت إيلينا أن تجعله يفيق بأن وضعت على وجهه قليلاً من الماء، لحظات وفتح الرجل عينيه لا يدري ماذا حدث، طمأنه يوناس وأخذ بيده ليصعدا سويًا، نظرات الرعب والفزع ظهرت على وجوه أفراد الأسرة وهم يلتصقون ببعضهم البعض بذعر شديد، أخبرهم يوناس أن والدهم بخير، فتحول المشهد لدرامي وهم يحتضنون والدهم ويبكون برعب، أخذ يوناس يد إيلينا ودلف للخارج، وهي تهمس له:

- لقد تأخرنا على موعد والدتي، ستقتلنا حتمًا.

ابتسم لها قائلاً:

- وأمي أيضًا ستقتلني إن تأخرت عليها، فلقد تحدثت معي بشق الأنفس بعد خداعي أنا ووالدي لها.

وضعت إيلينا يدها على فمها قائلة:

- هل ما زالت تخاصم والدك؟!

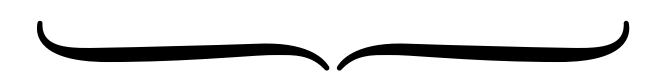
انفجر يوناس في الضحك:

- لم أرَ بني النعمان ذليلاً هكذا من قبل.

التفتت زوجة الرجل فلم تجدهما حولها فتحت باب المنزل سريعًا ولكنهما اختفيا بالفعل!

رفعت السيدة كتفيها بتعجب وهي تردد:

- مؤكد هذان زوج من الملائكة.



تم بحمد الله

